وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د. مولاي الطاهر سعيدة

كلية الآداب و اللغات و الفنون

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس

تخصص دراسات لغوية

بعنوان :

# نظرية المقام عند الجاحظ وأبعادها التداولية

إعداد الطالبة:

بلفضال إكرام

إشراف الأستاذ:

واضح أحمد

لجنة المناقشة

الأستاذ:.....رئيسا

الأستاذ:..... مشرفا و مؤطرا

الأستاذ:..... مناقشا

السـنة الجامعية :

2018-2019

# تشكر و عرفان

الحمد لله الذي خلق الكون ونظمه،
وخلق الإنسان وعلمه وكرمه
وسن الدين ونظمه ووضع
البيت وحرمه،و نادى موسى
وكلمه وأرسل نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم بالحق
سبحانه ما أعلى مكانه
وعظمه وما أكثر جهد وكرمه
فالشكر ▫ أولا ولرسول المصطفى .

بصدق الوفاء والإخلاص أتقدم بالشكر إلى الأستاذ المشرف " واضح أحمد" الذي سهل لي طريق العمل ولم يبخل علي بنصائحه القيمة فوجهني حين الخطأ وشجعني حين الصواب فكان نعم المشرف.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى الأستاذة " بن يخلف نفيسة" على كل ما بذلته من وقت وجهد في توجيه و إرشادي.

كما أشكر نعار وليد على نصائحه القيمة التي مكنتني من إتمام هذه الدراسة .

# إهداء

الحمد لله الذي بعونه تتم الصالحات و الصلاة و السلام على رسوله الكريم سيدنا و حبيبنا محمد عليه أزكى الصلاة و أفضل التسليم و على آله و صحبه أجمعين أما بعد :

بعد ما رست سفينة هذا البحث على شواطئ الختام لا يسعني إلا أن أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى التي عجز اللسان عن وصف مأثرها نحوي إلى المرأة التي غمرتني حبا و حنانا إلى حكاية العمر إلى التي لا أدري بأي كلام أقابلها إلى **أمي** الغالية أطال الله في عمرها .

أهدي ثمرة جهدي إلى ذلك الشخص الذي لم يبخل علينا يوما بروحه ، إلى الشخص يسعد بسعادتي ويحزن بحزني، إلى الشخص الذي انحناؤه تضرعا لخالق الكون رفعني لبلوغ النجاح رمز الأبوة إلى ذلك المقام الراسخ في ذهني وأفكاري إلى **أبي** الغالي أطال الله في عمره.

إلى روح أختي الطاهرة **ستي** طيب الله ثراها وجعل الجنة مثواها .

إلى شركائي في عرش أبي وأمي إلى أخواتي وأزواجهم .

إلى أبناء أخواتي بدر الدين، محمد،عبد المؤمن، معاذ، المعتصم بالله .

إلى كل من يحمل لقب بلفضال من قريب أو بعيد

إلى رفيقة دربي و شريكتي في الغرفة بلِقرنة نور الهدى و

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي و لم تسعهم مذكرتي .

**إكرام**

# مقدمة

**مقدمة:**

الحمد لله الذي إليه المساق والسلام على محمد بن عبد الله دليل الأمة إلى الرشاد أما بعد:

فإن علم اللغة الحديث من العلوم ذات الشأن في الحقل اللغوي والأدبي على حد سواء ونازع هذا العلم معطيات وثوابت كثراً في تراثنا بمختلف توجهاته، وقد ماجت حقول المعرفة اللغوية في البلاد العربية بكثير من المقولات اللغوية التي امتزجت فيها أصالة التراث بالبحث اللغوي المعاصر ولعل نظرية السياق واحدة من النظريات اللغوية التي تأثرت وأثّرت في الدرس اللغوي العربي فيما بعد الخمسينيات الميلادية من هذا القرن وقد تناول هذه النظرية باعثا للكشف عن مقولات لعلمائنا العرب، تهتم بالجانب الاجتماعي للغة اهتماما يساوي إن لم يزد في بعض الأحيان ما كشفت عنه الدراسات اللغوية المعاصرة في الغرب، إن البحث في التراث العربي الإسلامي ليس بالأمر الهين خاصة إذا كان مع علم بارز كالجاحظ الذي ذاع صيته عبر الأزمان والأجيال نظرا للمكانة التي حفل بها وهذا راجع للقدرة التي مكنته من إنتاج مؤلفات في مختلف الموضوعات مما جعلته محط أنظار الباحثين والدارسين، ومن بين القضايا التي اهتم بها الجاحظ السياق وخاصة السياق الخارجي الذي يسهل على السامع والمخاطب على حد سواء كما أنه اهتم بالسياق اللغوي وهذا ما يبرز جليا في حديثنا عن علاقات التخيير والتأليف التي دعا إليها، فالجاحظ يعتبر من الأوائل الذين تفطنوا للدور الذي تلعبه الملابسات والظروف الخارجية التي تحف بظاهرة الكلام كالمتكلم والسامع وظروف المقال ويظهر ذلك في عبارته المشهورة لكل مقال مقام وقد برز اهتمام الجاحظ من خلال كتابيه البيان التبيين والحيوان .

أمام هذه العتبات التصورية حاولت أن أضع خطة بحث تتمحور حول محاولة البحث عن نظرية المقام عند الجاحظ .

وقد اندفعت لدراسة السياق من جهة أن هذا الموضوع سيطوف بي تطوفا بعيد مهوى الفائدة إذ سأخوض في التراث خاصة في جوانب كثيرة من اللغة البلاغة وعلم أصول الفقه والتفسير وقد اتخذت للموضوع عنوان ألا وهو نظرية المقام وأبعادها التداولية عند الجاحظ وذلك لاتساع الموضوع وكثرة المادة العلمية فيه.

واختيارنا للجاحظ لم يكن اختيارا عفويا بل عن وعي وقصد وذلك للأسباب التالية:

**أولا**: عطاء الجاحظ العلمي المتميز خاصة إذا تعلق الأمر باللغة والأدب وهذا ما أهله لأن يكون معلم الأدب بلا منازع في القرن الثاني للهجرة.

**ثانيا**: الطاقة المتجددة في كتابات الجاحظ.

**ثالثا**: البيان والتبيين من أحسن ما كتب الجاحظ خصوصا إذا تعلق الأمر بالقيمة العلمية والأدبية.

وقد اعتمدنا في ذلك على منهجين رأينا أنهما من أهم المناهج لمثل هذه الدراسات الأول منهج وصفي تحليلي والثاني تاريخي مقارن، فالمنهج الوصفي استعملناه لإبراز أهمية دراسة اللغة ووصفها في العصر الحديث، ولأجل عزل الظاهرة بعضها عن بعض وكذا لإثبات قضية المقام، أما المنهج المقارن استخدمناه لأجل زيادة دراسة المقام مزيدا من الدقة والملاحظة بحيث استعملنا ذلك في المقارنة بين السياق عند القدماء وعند المحدثين، أما المنهج التاريخي فقد استخدمناه في حديثنا عن المقام قديما وحديثا .

و بناء على هذا لقد اعتمدنا على مجموعة من المراجع أهمها : الجاحظ : البيان و التبيين ، و الحيوان ، رسائل الجاحظ ، عبد النعيم خليل : نظرية السياق بين القدماء و المحدثين ، تمام حسان : قرينة السياق إبن منظور : لسان العرب .

ما ماهية السياق ؟ ما هي تجليات تطبيق السياق عند الجاحظ ؟ كيف كان معطى المقام بين أفاق البلاغة و واقع الدراسات المعاصرة ؟ ما هي امتدادات البلاغة من خلال أفق الجاحظ ؟ ما هي علاقة التداولية بالبلاغة ؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات ارتأينا لأجل بدء هذا البحث أن نقسمه إلى فصل تمهيدي وفصلين وخاتمة.

فبالنسبة للفصل التمهيدي حاولنا من خلاله أن نعطي لمحة عامة لنظرية المقام، باعتباره الأرضية التي سنبني عليها عمل بحثنا أي استثمار ما جادت به من مفاهيم نظريات بحيث تطرقنا فيها للحديث عن مفهوم السياق لغة واصطلاحا وأنواع السياق ، ثم تطرقنا إلى الحديث عن السياق عند القدماء

والمحدثين بحيث قسمناه إلى جزئين: عند العرب (النحويين والبلاغيين والأصوليين والمفسرون) وعند الغرب(مثل فيرث و أولمان وجاكبسون)و وسمناه بعنوان معطى المقام بين آفاق البلاغة في الفكر العربي وواقع الدراسات المعاصرة ،أما الفصل الأول فضلنا أن نعالج فيه التداولية والبلاغة والعلاقة بينهما، وقد اعتمدنا فيه على الجانب النظري، ووسمناه بعنوان: بين التداولية والبلاغة.

وقد قسمنا هذا الفصل إلى المباحث التالية:

**أولا** : تعريف البلاغة، و ذلك بتحديد مفهومها عند العلماء والمفكرين.

**ثانيا**: أطراف التواصل عند البلاغيين، وذلك بالإلمام بجميع أطراف التواصل والتداول عند البلاغيين.

**ثالثا**: المقام عند البلاغيين، عرجنا فيه إلى تحديد المقام عند البلاغيين.

**رابعا**: التداولية، قد حددنا فيه مفهوم التداولية ونظرياتها ونشأتها.

**خامسا**: علاقة التداولية بالبلاغة، تناولنا فيه العلاقة الرابطة بين التداولية والبلاغة.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه لدراسة مكانة الجاحظ البلاغية وركزنا فيه اهتمامنا على نظرية الدلالات الخمس عند الجاحظ وذلك من خلال كتابي الجاحظ البيان والتبيين والحيوان وقد تداولنا فيه الجانب التطبيقي ، وأدرجناه بعنوان : امتدادات البلاغة من خلال أفق الجاحظ وقد قسمنا هذا الفصل إلى مباحث فرعية هي كالآتي :

**أولا**: نبذة عن الجاحظ، تعرضنا فيه إلى شخصية الجاحظ .

**ثانيا**: مفهوم البيان والتبيين، وقد عمدنا فيه تسليط الضوء حول تعريف البيان والتبيين.

**ثالثا**: المقام عند الجاحظ، وذلك بتحديد أهم ما عرج عليه الجاحظ عن المقام.

**رابعا**: نظرية الدلالات الخمس عند الجاحظ، تناولنا فيه الدلالات الخمس التي تعرض إليها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين.

وأخيراً خاتمة وهي عبارة عن حوصلة للنتائج التي اتضحت لنا أثناء الدراسة والتحليل لهذا الموضوع بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدناها أثناء معالجتنا لهذا الموضوع لإضافة الفهرس.

أما بالنسبة للصعاب والعقبات التي اعترضتنا أثناء هذا البحث فهي كثيرة كما أنه لا يخفى على كل باحث أنه لكل بحث جاد مثل هذه الصعاب و العقبات، مثل عناء السفر للبحث عن المصادر وعملية القراءة التي تعتبر عملا مضنيا وهنا لا أتحدث عن القراءة العادية بل القراءة المتقصية والتي يهدف من ورائها الباحث للوصول إلى شيء ما فهناك نصوص يكتنفها بعض الغموض تدفع الباحث لإعمال فكره أكثر فأكثر وأيضا كثرة المادة العلمية وصعوبة انتقاء الأهم من المهم منها.

و في ختام هذه الدراسة يطيب لي أن أتقدم إلى الأستاذ المشرف بالشكر و أعبر له عن الامتنان على ما قدمه من جهد وافر في قراءة هذه الرسالة و تقويمها إلى أن خرجت بهذه الصورة .

## الفصل التمهيدي : معطى المقام بين آفاق البلاغة في الفكر العربي و واقع الدراسات المعاصرة.

1-تعريف السياق

2- أنواع السياق

3- السياق عند القدماء و المحدثين

**فصل تمهيدي:**

إن الإنسان في حياته اليومية يحتاج للتواصل والتحاور وهذا ما جعله يتبع أكثر من وسيلة محاولا زيادة نوعا من التفاهم والتفاعل بين الناس ومن بين هذه الوسائل التعبير اللغوي الذي يتخذه كوسيلة للدلالة على المعاني الفكرية والنفسية، لكن أحيانا ما تعجز هذه الوسيلة عن إيصال المعاني المقصودة ومن هنا ظهرت الحاجة إلى السياق الذي يعتبر من أهم عناصر العملية التواصلية في كل الخطابات الرسمية والعادية كونه هو الذي يحدد المعاني والدلالات وقد حظي بالدراسات قديما وحديثا وعربيا وغربيا وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المدخل.

**1- السياق لغة:**

في اللغة العربية ورد لفظ السياق من سوق وأصله السواق، قال ابن فارس: "سوق السين والواو والقاف أصل واحد وهو حذو الشيء يقال سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْاقًا والسَّيقة ما استيق من الدواب ..... والسوق مشتقة من هذا، لما يساق لها من كل شيء[1].

قال الزمخشري "تساوقت الإبل أي تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياقاً وإليك يساق الحديث وهذا الكلام مساقه إلى كذا وجئتك بالحديث على سَوقِهِ على سرده"[2].

ويقال في الصحاح ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة أي بعضهم على إثر بعض ليست بينهم جارية وساق الماشية سوقا وسياقا فهو سائق وسَوَّاق شدد للمبالغة.

كما أشار ابن الأثير وصاحب اللسان وغيرهما إلى أن السياق مصدره ساق ومن ثم فهو مرادف للسوق وليس هناك ما يمنع لغة من أن يكون لفظ السياق مصدراً لساوق[3].

---

[1]-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997، الصفحة 03.

2- الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1998ميلادي، 1419هجري، صفحة 45.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1999، صفحة 146.

قال الراجز:

قَدَّ لَفَهَا اللَّيْلُ بِسِواقٍ حُطَمٍ  لَيْسَ بِراعِيّ إبِلٍ ولا غَنَمٍ

واستاقها فانساقت وسقت إلى امرأتي صَدَاقَها .....والسيقة ما استاقه العدو من الدواب مثل الوسيقة ويقال استقتُكَ إبلاً أي أعطيتك إبلا تسوقها والسياق نزع الروح، يقال رأيت فلاناً يسوق أي ينازع الموت[1].

ويقال في دائرة معارف القرن العشرين: ساق الحصان يسوقه سوقا وسياقة: حثه على السير من خلفه وتسوق القوم باعوا واشتروا واستاق الماشية: ساقها من خلفها وسياق الكلام أسلوبه وجاءت هذه الكلمة في سياق الكلام أي في ضمنه والساق مابين الكعبة والركبة جمعها سوق وسيقان، والساقة بمعنى مؤخر الجيش والسوقة الرعية للواحد والجمع المذكر والمؤنث والسوقي هو أحد السوقيين لأهل السوق، والسويق: هو الخمر والناعم من دقيق الخمر والشعير[2].

فقد ورد في المعجم الفلسفي بأنه "السياق في الفرنسية contexte وفي الانجليزية context سياق الكلام، أسلوبه ومجراه، فكما نقول وقعت هذه العبارة في سياق الكلام أي جاءت متفقة مع مجمل النص، وسياق الحوادث processus مجراها تسلسلها وارتباط بعضها ببعض فإذا جاء الحادث متفقا مع الظروف المحيطة به كان واقعا في سياقها وإذا جاء مخالفا وجب البحث عن علة هذا الخلاف كما نقول سياق المرض وسياق الظواهر النفسية والاجتماعية[3].

انطلاقا من هذه التصورات نخلص إلى أن السياق هو الكلمة الجامعة لهاته المعاني في هذه المعاجم ونعني به تتابع الشيء على نسق واحد بنفسها أو بسبب خارجي حيث يقول الدكتور تمام حسان تأكيدا لهذه المعاني اللغوية التي تدل على (التتابع الإيراد) المقصود بالسياق التوالي، ثم ينظر إليه من ناحيتين:

**الأولى**: تتابع العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك والسياق من هذه الزاوية يسمى سياق النص.

---

[1]- الصحاح الجوهري أحمد عبد الغفور، لسان العرب، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1987 م، 1407 هجري، الصفحة 106.

[2]- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الخامس، الطبعة الثالثة، الصفحة 333 ،334.

[3]-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مطبعة دار الحياء، الكتب الغربية، الجزء الأولى، الصفحة 671.

**الثانية:** توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال **و**من هذه الناحية يسمى سياق الموقف[1].

ومن هنا يمكن تلخيص القول في مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث التالية:

**الأولى:** أن السياق هو الغرض، أي مقصود المتكلم في إيراد المتكلم .

**الثانية:** أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص .

**الثالثة:** أن السياق هو ما يعرف بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في مكان النظر.

**2- السياق اصطلاحا:** بعدما عرفنا السياق لغة نتطرق إلى مفهومه اصطلاحا

أن السياق هو الذي يحدد معنى الكلمة من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى في النظم فهو الذي يساعد على كشف معنى الكلمة نتيجة الوضع المتفق عليه بين السامع والمتكلم[2]

يقول الجرجاني في هذا الصدد :« نظام يعتبر فيه حال النظوم بعضه مع بعض وليس هو النظام الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق....ليس الغرض بنظم الكلام أن توالت ألفاظها بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل[3] انطلاقا من هذا التصور فإن السياق عند الجرجاني يعتبره على أنه ارتباط حال المنظوم بعضهم مع بعض وليس هو ضم الشيء إلى الشيء ليس الغاية بنظم الكلام توالي ألفاظها في النطق بل تناسق دلالتها وتلاقي معانيها، يقال سياق العبارة أو سياق الموضع أو سياق الحديث لا يعنون به أكثر من نظام الكلمة في الجملة أو نظام الجملة في عبارة أو للموضوع وملائمة كل من الكلمة والجملة إذ أن كل كلمة تتفق مع الكلمات التي تجاوزتها في الجملة أو النص فهي في مكانها الملائم من حديث كتابة وخطابة يعني أن تجارية وتلائمه وتسير على نسقيه ولا تتنافر مع غيرها من الكلمات وقد عرفه محمود السعران بقوله هو جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامي.

---

[1]- الدكتور تمام حسان، قرينة السياق، عبير الكتاب، الطبعة الأولى، 1993 م، 1413 هـ، الصفحة 375.

2-عبد الواحد حسن، التنافر الصوتي و الظواهر السياقية، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، 1999، الصفحة 30.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة سعد الدين، دمشق، الطبعة الثانية، 1994، الصفحة 40 .

أما ابن خلدون فيقول في مقدمته: ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل الصناعة صناعة الشعر وما يريدون بها فاعلم أنها عبارة عن المنوال الذي ينتج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه فقد ربط ابن خلدون السياق بالأسلوبية، ومن هنا يتبين لنا بأن السياق إحدى نتائج البحث الدلالي فعندما تدرس أحوال اللفظ ومادته اللغوية يكون ذلك بمثابة تمهيدا لإعطاء هذا اللفظ بعده في النص أو بعبارة أخرى يمثل السياق دراسة الوحدة اللغوية في الواقع العملي وهو خطوة تمهيدية في المنهج التحليلي للخطاب[1].

**3-أنواع السياق:**

لقد اختلف المتكلمون في أنواع السياق فقد تنوع عندهم إلى عدة أنواع على توجهات شتى وتعدد حسب الوضع والحاجة فبعضهم نوعه كالآتي:

**3-1- السياق اللغوي** :

هو معنى الكلمة داخل الجملة التي فيها وقد عرفه أحمد مختار بقوله: «أما السياق اللغوي فيمكن التمثيل له بكلمة good بالإنجليزية ومثله كلمة حسن بالعربية أو زين بالعامية التي تقع في سياقات مختلفة وصفا لأشخاص وأشياء مؤقتة ومقادير فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة رجل كانت تعني الناحية الخلفية وإذا وردت وصفا لطبيب كانت تعني التفوق في الأداء[2].

ويشتمل على مكونات هي:

3-1-1- السياق الصوتي: ويتعلق هذا السياق بدراسة الصوت داخل سياقه.

3-1-2- السياق الصرفي: يرتبط هذا السياق ببنية الكلمة وعلاقتها بالمعنى.

3-1-3- السياق النحوي: حيث يتعلق بالضبط الذي يضبط المعنى.

3-1-4- السياق المعجمي: ويتعلق بمعاني المفردات التي تشكل مفهوم النص بعد ذلك.

3-1-5- السياق الأسلوبي: ويتعلق بالأسلوب نفسه[3].

---

[1]- محمد أبو فضل إبراهيم، البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق، الصفحة 242.

[2]- فريد عوض حيدر، علم الدلالة، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الأولى، 1998، الصفحة 72 .

[3]-عبد النعيم الخليل ، دراسة نحوية الدلالية مصدر سابق ، الصفحة 25.

### 3-2- السياق العاطفي:

يتعلق هذا السياق بالدلالة العاطفية وهو الذي يتولى الكشف عن المعنى الوجداني بتحديد درجة القوة والضعف مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا فكلمة الكره غير كلمة البغض بالرغم من اشتراكهما في أصل المعنى يقول أولمان في هذا الصدد "إن السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف أو أنها قصد بها التعبير عن العواطف والانفعالات"[1].

### 3-3-سياق الموقف:

يدل على العلاقة الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام يسمونه أيضا بسياق الحال ويعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة يدخل فيه كل ما له علاقة بالكلام

من ظروف اجتماعية ونفسية وثقافية للمتخاطبين وبالتالي لا بد على الدارس اللغوي بتفاعل مع المقام المتكلمون من العناصر الآتية: المتكلم، السامع وعلاقته بالمتكلم، مجال الحدث الزمان والمكان[2].

### 3-4-السياق الثقافي:

ويتعلق بتحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي تستخدم فيه الكلمة وهو سياق يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة فاستعمال كلمة عقيلته تدل على طبقة اجتماعية عالية لأن العامة تستعمل كلمة زوجة وعليه فاللغة استكمال والمعنى يبقى غامضا بعيدا عن السياقات المختلفة ولكن ما إن يسيق الكلام حتى

يتقطر المعنى منه ويتميز السياق الثقافي للنص بالديناميكية المحركة لتعددية المعنى فليس السياق الثقافي مجرد ألفاظ ساكنة إنما متوالية لا نهائية من المعنى لأنه يتصل بثقافات أخرى[3].

---

[1]- ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، نظرية النظم ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1978 ، الصفحة 75.

[2]- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، نظرية النظم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1978، الصفحة 21 .

[3]- عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص سؤال الثقافة، دار المعارف، الطبعة الأولى، 1995، الصفحة 31.

وبعض السياق نوعه هكذا:

**1- السياق التداولي**: ويتكون من كل العوامل النفسية والاجتماعية والتي تحدد بدقة مناسبة أفعال اللسان وغير ذلك.

**2- السياق الإدراكي**: ومعنى هذا السياق فهم النصوص

**3- السياق النفسي الاجتماعي**: ومعناه تأثير النصوص في المتلقين

**4- السياق الاجتماعي**: ومعناه علاقة السياق بالظروف المحيطة

**5- السياق الثقافي**: بحيث يؤخذ في هذا السياق بالنظر إلى النص كظاهرة ثقافية[1].

ومن هنا نستنتج أن السياق له أنواع متعددة وكلها تدور حول هدف واحد وهو تحيد المعنى في كل الظروف المحيطة به.

**السياق عند القدماء والمحدثين:**

1-**السياق عند العرب:**

**1-1-السياق عند النحويين:**

لقد عرف القدماء النحو بأنه علم الذي يبحث فيه عن معرفة أحوال أواخر الكلمات من حيث الضبط العربي الصحيح سواء كانت هذه الكلمات معربة أم مبنية[2]، أو هو كما عرفه بعض الباحثين شبكة من العلاقات السياقية التي تقوم كل علاقة منها عند وضوح القرينة المعنوية قد يعتمد وضوحها على التآخي بينها وبين القرائن اللفظية في السياق[3].

فقد تجلى اهتمام النحاة بالسياق في العديد من المناسبات حيث تصدوا لوصف الظواهر الذاتية للغة في الأمثلة والشواهد ومن ثم قعدوا اللغة في ميادين النحو و الصرف و الصوتيات.

---

[1]- عبد الرحمان بودرع، منهج السياق في فهم النص، دار النشر، الطبعة الثانية، الصفحة 23.

[2]- الدكتور أمين السيد، دراسات في علم النحو، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، 1968، الصفحة15.

[3]- حلمي خليل، العربية وعلم اللغوي البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي والعربي الحديث، دار المعرفة الجامعية 1988، الصفحة 63.

وفكرة هذه الدراسة تقوم على إظهار أن النحاة الأوائل وهم يصنفون على أنهم نحاة الجملة قد استحضروا السياق في وصف الظاهرة النحوية استحضارا واضحا يقول ابن جني فلو كان استماع الأذن معنيا عن مقابلة العين مجزئا عنه لما تكلف الفاعل ولا كلف صاحبه الإقبال عليه و الإصغاء إليه وعلى ذلك قالوا رب إشارة أبلغ من عبارة وقال بعض مشايخنا رحمهم الله أن لا أحسن أن أكلم إنسانا في الظلمة[1].

-ويقول سيبويه «قولك إذا كنت تحذر:إياك نح، وإياك باعد، وإياك اتق، وما أشبه ذلك ومن ذلك، رأسه والحائط وإنما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حيث ثنوا لكثرتها في كلامهم واستغناء بما يرون من الحال وبما جرى من الذكر»[2].

فما حذف يدل عليه المقام ككل من عناصره، هنا أن الموقف موقف تحذير،يضاف إلى هذا كل المعلومات المشتركة بين المتكلم والمخاطب من كثرة هذه الأساليب فكأنما جرت المواضعة عليها، وكذا ما يرون من "الحال" وهذه الحال هي حال الموقف الكلامي وهي هنا موقف تحذير أشار إليه سيبويه بقوله إذا كنت تحذر وقال ابن جني في الخصائص يعلل حذف الصفة «وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل وهم يريدون، ليل طويل وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها وذلك أنك تحس من كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتغطيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك»[3]، ومن هنا نلاحظ أن الاعتبار انتقل إلى التركيز على المتكلم نفسه، وما يصاحب كلامه من إشارات وحركات وغيرها عبر عنه ابن جني بالتطويح والتطريح ...ومعلوم أن هذه القرائن غير مقالية ولكنها ساهمت في أداء دور الألفاظ وقامت مقامها باعتبارها قرائن حالية.

وفصل ابن جني بعد هذا عناصر المقام ،فتحدث عن الموقف الذي يكون فيه المتكلم فإنه هو الذي يعين الدلالة و يفيد في تقدير المحذوف، فموقف المدح غير موقف الذم حيث قال: «وأنت تحس هذا

---

[1]- ابن جني، لخصائص، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى،1992، الصفحة 247.

[2]-سيبويه، الكتاب، تحقيق، محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1988، الصفحة273 .

[3]- ابن جني، الخصائص، ترجمة عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الأول، الصفحة 370.

من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول كان والله رجلا فتزيد في قوة اللفظ بهذه الكلمة وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها ..أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك»[1].

وأما إذا اختلف الموقف كأن يكون موقف ذم وتبرم ف: ".....إن ذممته ووصفته بالضيف قلت :سألناه وكان إنسانا وتزوي وجهك و تقطبه، فيغني ذلك عن قولك إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك"

كما يربط النحاة بين الكلام والمتكلم إذ نجدهم يربطون بين عمل العامل أو إهماله وما يدور في نفس المتكلم من هواجس وخواطر، فإهمال العامل ليس مجردا من الإرادة والقصد تنطوي وراءه غاية نفسية معنوية من ذلك حديثهم عما نقل إليهم من كلام العرب مثل (سقيا لك) و (تبا لك) فقد اهتدوا إلى ما كان يدور في نفس المتكلم وهو يطلق هذا الدعاء فعقلوا (لك) بعامل محذوف ولم يعقلوه بالمصدر المذكور[2].

### 1-2- السياق عند البلاغيين:

انصب اهتمام البلاغيين في دراساتهم للسياق على فكرة (مقتضى الحال) والعلاقة بين المقال والمقام فأما مصطلح (مقتضى الحال) فقد اهتم به علماء علم المعاني والحال في اصطلاحهم يعدل مقتضى الحال، يقول التهانوي: "والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه المخصوص أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدى به أصل المعنى خصوصية ماهية المسمات بمقتضى الحال، مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حالا يقتضي تأكيد الحكم وتأكيد مقتضاه... وعلى هذا النحو قولهم علم المعاني علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال، أي

[1]- ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، الجزء الثاني، الصفحة 371.

[2]- محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، جامعة تشرين، اللاذيقية، 1979، الصفحة 186.

يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال وهذا هو المطابق بعبارات القوم حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك معللة بالأحوال[1].

فأمام هذا المقتضى التصوري يستوضح لنا أن أهل المعاني اهتموا بأحوال المتكلم والمستمع والتعريف يقتضي أن يكون المتكلم على علم بأحوال السامع قبل أن يتكلم، حتى يأتي بالكلام على صفة مخصوصة تتطابق مع حال المستمع.

**1-3- السياق عند الأصوليين:**

لقد درس الكثير من العلماء اللغة العربية وأولوها عناية كبيرة سواء من أجل ذاتها أو من أجل الحصول على مباحث أخرى ومن بين هؤلاء علماء الأصول فعلم الأصول أو أصول الفقه هو عبارة عن إدراك القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية وقيل هو العلم بالقواعد و قيل هو نفس القواعد الموصلة بذاتها إلى استنباط الأحكام وقيل هو طرق الفقه[2].

إن علم أصول الفقه هو أساس التنظير للجانب الدلالي من النصوص ذلك أنه: يبين دلالة الألفاظ ما يؤخذ من النص وما يفهم من غيره وفيه ضبط دقيق لمدلولات العبارات وإشارتها[3]. وبذلك تكون الدلالة هي أهم ما يلتفت إليه هذا العلم.

لقد أكد الغزالي هذا المبدأ تأكيد لا يدع مجالا للشك في أن الأصوليين قد أخذوا في الحسبان سياق الاجتماعي في البحث عن الدلالة يقول:"أعلم أن الكلام إما أن يسمعه نبي أو ملك من الله تعالى أو يسمعه نبي أو ولي من ملك أو تسمعه الأمة من النبي فإن سمعه ملك أو نبي من الله فلا يكون حرف ولا صوت ولغة موضوعة حتى يعرف معناه بسب تقدم المعرفة بالمواضعة إن كان نصا لا يحتمل كفى معرفة اللغة وإن تطرق إليه الأحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرينة إلى اللفظ و القرينة إما لفظ

[1]-- محمد علي خولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1982، الصفحة 115.

[2]– محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، القاهرة، الطبعة الأولى، 1937، الصفحة 6.

[3]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية،1394 هـ،1974 م، الصفحة 86.

مكشوف كقوله تعالى :﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ﴾ ( الأنعام 141 ) والحق هو العشر وإما إحالة على دليل العقل كقوله تعالى:﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾(التفسير 167 )[1].

ويؤكد الغزالي على أهمية السياق الاجتماعي بكل ما فيه في الكشف عن الدلالة إذا ما احتمل اللفظ أكثر من معنى إذ لا يمكن الوقوف على المعنى المقصود إلا بالوقوف على المواقف أو السياق الذي ورد فيه هذا لفظ وقد استند الغزالي في تفسير كثير من الأحاديث النبوية الشريفة على السياق بكل عناصره ليصل إلى المعنى الدلالي الكامل[2].

ودراسة الأصوليين للقرائن المخصص للعام تدل على إدراكهم الواعي لعناصر السياق أو الموقف الكلامي وأثاره الكلامي في تحديد الكلمة[3].

هكذا جاء حديث الأصوليين عن السياق بكل جوانبه من منطلق البحث عن الدلالة أساس البحث الأصولي وصولا إلى الحكم الشرعي الذي تستقيم معه الحياة الاجتماعية ومن ثم فقد عرضوا للكلمة على مستوى اللفظ مفرد وعلى مستوى التركيب الذي هو أساس السياق اللغوي أخذين في الاعتبار كثيرا من الجوانب التي تستبين معها الدلالة كالعموم والخصوص والحقيقة والمجاز والمناسبة وقصد الشارع واجتماعية اللغة فجمعوا بذلك جل عناصر النظرية السياقية التي ينادي بها المحدثون.

### 1-4-السياق عند المفسرون :

التفسير هو البيان وكشف المراد عن اللفظ المشكل وهو العلم الذي يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى عليه وسلم وبيان معانيه واستخرج أحكامه وحكمه[4].

فالتفسير يلتقي بعلم الدلالة السيمانتيك في أن كل منهما يحاول الكشف عن المعنى بشتى الوسائل التي تعين على ذلك إلا أن علم التفسير ينحصر بمعناه الاصطلاحي الخاص في فهم كتاب الله عز وجل هذا منذ نشأته أما علم دلالة فإنه ذالك الفرع من علوم اللغة الذي يدرس المعنى بمفهومه العام فلا

---

[1]- عبد النعيم خليل، نظرية دراسة نحوية دلالية، مرجع سابق، الصفحة 245 .

[2]- أبوحامد الغزالي، مرجع سابق، الصفحة 324، 325.

[3]- طاهر حموده، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطبعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1982،الصفحة 236 ،237.

[4]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبوفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الجزء الأول، الصفحة 13.

يقتصر على موضوع دون آخر ولا كتابا دون سواه فهما على ذالك يلتقيان في الهدف والوسيلة ومن هنا فقد كان هناك ارتباط في منهج البحث بين كلا العلمين[1].

إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته، لأن الجزء سابق على الكل في الوجود الذهني والخارجي فنقول: النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها، أما بحسب الأفراد ومن وجوه ثلاثة. ومن جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها وهو يتعلق بعلم اللغة[1].

ومن جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على معاني المختلفة وهو من علم التصريف ومن جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها وهو علم الاشتقاق وأما بحسب التركيب فمن وجوه أربعة:

الأول: باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابلة، من حيث أنها مؤدية أصل المعنى

وهو ما دل عليه المركب بحسب الوضع وذلك متعلق بعلم النحو[2]

الثاني: باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى، أعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تركيب البلغاء[3].

ومن هنا فإننا نرى أن المعنى الدلالي الكامل، لا يتوقف على معنى الحسي للكلمة فقط، بل تنظم إليه مجموعة من العناصر الأخرى لا تقل أهمية عنه، كالعنصر الصوتي والنحوي والصرفي وقيل كل سياق الحال أو الموقف Coutext of situation الذي قيل فيه الحدث اللغوي، وعليه فقد استحضر المفسرون هذا الموقف حينما تحدثوا عن أسباب النزول والمناسبة وأولوا كل هذه العناصر عناية خاصة (المعنى الدلالي للآية الكريمة) إذا لا يمكن للمفسر عندهم أن يتعرض لآية من الذكر الحكيم إلا إذا ألم إلماما كاملا بالعلوم اللغوية وتعرف المواقف والمناسبة التي قيلت فيها الآية الكريمة وهذا يندرج تحت ما يسمى لسياق الحال[4].

---

[1]– عبد النعيم خليل، دراسة لغوية نحوية دلالية، مرجع سابق، الصفحة 196.

[2]– عبد النعيم خليل، المرجع نفسه، الصفحة .196

[3] – عبد النعيم خليل، المرجع نفسه، الصفحة .198

[4]– عبد النعيم خليل، مرجع لسابق، الصفحة 199.

إن المفسرون لم يهملوا سياق الحال أو السياق اللغوي في دراساتهم التفسرية وإنما كانت عناصر النظرية السياقية منبثة في كثير من قضاياها وذلكم يتضح في:

1-تعريفهم الاصطلاحي لعلم التفسير حيث جمعوا في هذا التعريف جل عناصر السياق والتي تتمثل في المتكلم والسامع وهذا مأخوذ من حديثهم عن العام والخاص وأسباب النزول وكذا الزمان والمكان وهو ما نصوا عليه في معرفة المكي والمدني من القرآن فهما يمثلان عنصري الزمان والمكان وكذلك ما في الموافق من أشياء وظروف وملابسات مما تبينه أسباب النزول وهي واحدة من الدراسة التفسيرية.

2- لم يقتصروا في تفسيرهم لآيات القرآن على المفردات، بل منهم من نص صراحة على وجوب النظر إلى السياق الذي وردت فيه الكلمة فمعنى الكلمة مفردة قد يختلف عن معناها مركبة[1]

ومن هنا فإن يؤكد لنا السيوطي لأهمية السياق في الوقوف على الدلالة وهناك الكثير من الآيات الكريمة التي لجأ فيها المفسرون إلى السياق الاجتماعي للوقوف على الدلالة وعدم الاقتصار على المعنى العجمي الذي قد لا يسعفهم في كثير من الأحيان ومن ثم فقد لجئوا إلى خلق مسرح لغوي يتلاءم مع الحدث الكلامي، ففي قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾(يوسف آية 52) رأى جماعة منهم أن هذا الحديث جاء على لسان يوسف عليه السلام ورأى آخرون أنه واقع من امرأة العزيز وكلا الفريقين قد استحضر السياق الاجتماعي بكل عناصره للوصول إلى ذلك قال أصحاب الحديث وأكثر أهل العلم يوسف القائل هذا الكلام و ذلك أن العزيز و هو الملك لما وجه إليه و هو في السجن يحضر فسردهم للقصة كاملة كما هو واضحا إن هو إلا استحضار للسياق الاجتماعي بكل ما فيه من عناصر متكلم، سامع، حضور وملابسات كل ذلك من أجل الوصول إلى المعنى الدلالي الكامل فسياق الحال أو السياق الاجتماعي هو كل ما يعين على فهم الحدث اللغوي مما هو خارج نطاق اللغة[2].

3-أسباب النزول التي كانت لها عناية خاصة عندهم من قبيل السياق الاجتماعي، وقد بلغ اهتمامهم بما أنهم نصوا على أنه لا يمكن تفسير آية قرآنية دون الوقوف على أسباب نزولها، ويقول الزركشي في

[1] عبد النعيم خليل، مرجع لسابق، الصفحة199 .

[2] -ينظر : السيوطي ، الأتقان في علوم القرآن ، مصدر سابق الصفحة 405 .

كتاب البرهان مبينا أهمية السياق في التفسير ومعلوم أن تفسيره(تفسير القرآن الكريم) يكون بعضه من قبيل الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه ولهذا لا يستغني عنه قانون عام يعول في تفسير ويرجع في تفسيره عليه من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها وسياقه وظاهره وباطنه وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم ويدق عنه الفهم[1].

هذا من الواجهة النظرية في بيان أهمية السياق عند المفسرين. أما من الوجهة التطبيقية فإن كثيرا من الآيات الكريمة لا يقف فيها المفسرون عند المعاني المعجمية للألفاظ لبيان المراد من هذا الآيات الكريمة بل تعدوا ذلك إلى كثير مما يمكن أن يندرج تحت ما يسمى بسياق الحال أو السياق الاجتماعي فهم في كثير من الأحيان لا يتمسكون بمطلق مدلول اللفظ وإنما يتجهون إلى السياق العام بكل أبعاده وعناصره يستنطقون النصوص ليصلوا بذلك إلى المعنى الدلالي الكامل غاية علم التفسير عندهم ولقد ظهر أثر السياق في قضاياهم التفسيرية من خلال:

1-اختلاف المعنى الدلالي عن المعنى المعجمي لبعض الكلمات بحسب السياق الذي ورد فيه اللفظ.

2-اشتمال اللفظ اللغوي الواحد على أكثر من معنى دلالي بحسب السياق اللغوي الذي ورد فيه اللفظ.

3-الحكم بالزيادة على بعض الأدوات بحسب السياق اللغوي الذي وردت فيه .

4-تبادل الوظائف الصرفية لبعض الصيغ بحسب السياق الذي وردت فيه الصيغة الصرفية[2]

**2-السياق عند الغربيين:**

عرضنا فيما سبق لمعرفة العرب للسياق واستخداماتهم لها في مجالات عديدة ولم يكن العرب وحدهم هم الذين طبقوا هذه النظرية وإنما شاركهم أيضا العلماء الذين اهتموا بالسياق وعرضوا أثره في الكشف عن المعنى[3]، ففكرة السياق ليست جديدة بل هي استمرار لجهود العرب فقد تناوله الغرب في القرن العشرين .

---

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت لبنان، الجزء الأول، الصفحة 15.

[2]- ينظر : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، الصفحة 21 .

[3]-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، دار العروبة للنشر و التوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 1998، الصفحة 19.

**2-1-دي سوسير:**

بالاعتماد على الأصول التي قامت عليها نظرية دي سوسير (الدراسة الآنية والوصفية ) يمكن أن نوضح العلاقة بين هذه النظرية ونظرية السياق فيما يلي:

2-1-1 ظهرت نظرية السياق عند المحدثين من منطلق البحث عن المعنى ومشكلاته إذا أن الكلمة لا تؤدي معناها منعزلة عن السياق الذي وردت فيه بل إن معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها أو الدور الذي تؤديه[1].

وكذلك الحال عند دي سوسير إذا يعد سوسير و سلفه Breal أول ماإستخدام كلمة Semamtique لوصف الدراسة التاريخية في تغير المعنى ، وقد اقترح لها مصطلحا جديدا وهو Semologie ليصف علما لم يتطور بعد علما يجب أن يدرس استخدام وظائف العلامات و الكلمات الموجودة في قلب حياتنا اليومية في المجتمع[2].

2-1-2 إن السياق اللغوي في النظرية السياقية هو عبارة عن النظم الكلمة في الجملة وموقعها من ذلك النظم يقول "كل كلمة هي وحدة لغوية تأخذ مكانها المناسب داخل النظام، هذا المكان مناسب هو الذي يحدد معنى الكلمة[3].

**2-2 السياق عند فيرث:**

شغلت دراسة السياق مجالا واسعا في الدرس اللغوي المعاصر وارتبط بجهود كثير من علماء اللغة قديما وحديثا حتى صارت نظرية متكاملة على يد العالم الإنجليزي فيرث (Firth) وقد اهتم علماء اللغة قديما بالسياق ومدى تأثيره على المعنى من دون إهمال للظروف المحيطة بالحدث الكلامي ومن خلال ربطهم لفكرة المقام والمقال، فقد وجدوا أن اللفظ المجرد من سياقه لا يكتشف المعنى وقد ظهر ذلك عند أهم رموزه: كالجاحظ وابن جنى والجرجاني الذي أبدع نظرية النظم التي قامت على دراسة لسياق لتظهر

[1] -stephem ullmann, meaning and style,oxford,1973,08.

[2]- عبد النعيم خليل، دراسة لغوية ونحوية دلالية، مرجع سابق، الصفحة 267.

[3]- عبد النعيم خليل، دراسة لغوية ونحوية دلالية، المرجع السابق، الصفحة 267

أفكارهم التي تصلح أن تكون نظرية متكاملة وقد ظهر جهدهم بما حواه التراث العربي من التفسير وعلوم القرآن والحديث والبلاغة والنحو واللغة والصرف[1].

وعليه يرى أصحاب نظرية السياق من المحدثين وفي مقدمتهم العالم الإنجليزي فيرث أن معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها أو الدور الذي تؤديه.

فقد انطلقت النظرية السياقية عند فيرث من خلال تصوره الخاص للمعنى اللغوي حيث تختلف نظرته للمعنى عن تصور كثير من اللغويين، فقد رأى البعض أن معنى الكلمة هو عبارة عن علاقة متبادلة أو ارتباط متبادل بين الكلمة وهي الصورة السمعية وبين الفكرة وبالتالي تصبح الكلمة عبارة عن علامة لغوية بحيث إننا عندما نفرق تفريقا أساسيا

بين فكرتين فنحن نستعمل لذلك علامتين لغويتين مختلفين[2].

تأثر فيرث بمالينوفسكي في التناول الاجتماعي للظاهرة اللغوية من خلال مصطلح سياق الحال الذي يعد ركيزة النظرية السياقية إلا أن فيرث كانت له نظرته إلى السياق مختلفة لأن كليهما اتجه لتخصصه ونظر إلى اللغة من زاويته .

أما بلومفيلد فقد رأى أن معنى الكلمة ينبغي أن يعرف عن طريق أحداث عملية فسيولوجية أو فيزيقية مرتبطة بها بمعنى أن الجوع مثلا في قولي أنا جائع يعرف عن طريق التقلصات العضلية المصاحبة لهذا الشعور وما يحدث في المعدة إفرازات بل يرى أن الأفكار والتصورات كذلك ينبغي أن يعاد وصفها بكلمات فيزيقية وحتى الحب والكره وما إليها ينبغي وصفها بمثل هذه الطريقة[3].

أما فيرث فقد اختط لنفسه منهجا آخر في دراسة المعنى، فدراسة المعنى عند فيرث كما يري الدكتور كمال محمد بشر تقوم على أسس ثلاثة هي:

1-وجوب اعتماد كل تحليل لغوي على المقام Couter situation مع ملاحظة كل ما يتصل بهذا المقام من عناصر أو ظروف وملابسات وقت الكلام الفعلي .

---

[1]- عرفات فيصل المناع، السياق و المعنى، منشورات الاختلاف، لندن، الطبعة، 2013، الصفحة 70-71 .

[2]-حلمي خليل، الكلمة، المرجع السابق، الصفحة 121.

[3]-حلمي خليل، الكلمة، مصدر سابق، الصفحة 122 .

2-وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس وصيغته، فتحديد البيئة يضمن عدم الخلط بين لغة وأخرى أو لهجة وأخرى وهذا الخلط من شأنه يؤدي إلى نتائج مضطربة غير دقيقة وذلك لاختلاف المادة التي أخذت منها هذه النتائج .

3-الكلام اللغوي عند فيرث مكون من أحداث وهذه الأحداث معقدة مركبة، ليس من السهل دراستها وتحليلها دفعة واحدة بل يجب تشقيقها والنظر إليها على مراحل وهذه المراحل أو الخطوات التي يجب إتباعها عند تحليل الأحداث اللغوية هي فروع علم اللغة والنتائج التي تصل إليها هذه الفروع هي مجموع خواص الكلام المدروس[1].

وضع فيرث خمسة أسس لدراسة المعنى والوصول إلى الدلالة الكاملة هذه الأسس هي:

1-الوقوف على الوظيفة الصوتية للصوت باعتباره مقابلا استبدالنا counter Asubwtitituion مثال ذلك الأصوات حيث توضع في سياق وفي نظام من العلاقات الصوتية بحسب التركيب الصوتي للغة .

2-الوقوف على الوظيفة المعجمية للكلمة حيث تختلف كلمة ،d: b باعتبارها مقابلا استبدالنا معجمي Counter alescical substitution عن كلمة مثل : d :b

3-الوقوف على الوظيفة المورفولوجية للكلمة وهي التي تعني بالنظر إلى السوابق واللواحق أو النظر إلى الكلمة من حيث الاسمية و الفعلية.

4-الوظيفية التنغيمية على مستوى التركيب حيث تظهر قيمة التنغيم Intonation في السياق الفعلي للحدث اللغوي فالتعبير بقولنا ماله ؟ يختلف عن التعبير بقولنا:ماله فالأول استفهام بمعنى ما الذي له ؟ والثاني أخبار بمعنى ليس له شيء فالتنغيم ذو قيمة معنوية دلالية[2].

5-الوظيفية الدلالية التي تظهر في السياق والتي يدركها السامع ويعنيها المتكلم عن طريق ما يتوفر في السياق من ظروف أو أحوال وملابسات[3].

---

[1]- كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الأول والثاني، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، 1971 م ، الصفحة 172.

[2]- ينظر : أحمد كشك، من وظائف الصوت و اللغوي محاواة الفهم صرفي و نحوي و دلالي، القاهرة، مطبعة المدينة، الطبعة الأولى، 1403 هجري،1983 م،الصفحة 54.

[3]- عبد النعيم خليل، دراسة لغوية نحوية دلالية، المرجع السابق، الصفحة 279.

فقد ظهر السياق عند فيرث والحق أنه لم يكن هو أول من استخدم مصطلح سياق الحال Contesct of situation بل قد أخذه عن مالينوفسكي أستاذ الإنتروبولوجيا الاجتماعية في لندن من عام 1927 حتى عام 1942 يقول فيرث" إن أول من استخدام هذا المصطلح بشيء من التوسع هو مالينوفسكي حيث ناقش باهتمام المشكلات اللغوية في أوائل الثلاثينات غير أن الفضل في تأصيل هذه النظرية وزيوغها في الدرس اللغوي الحديث يرجع إلى فيرث.

وسياق الموقف أو المقام عند فيرث، يعني مجموعة من العناصر والملابسات التي تتضح وقت الكلام الفعلي هذه الظروف أو الملابسات تتمثل في:

1- شخصية المتكلم و السامع وتكوينها الثقافي وشخصيات من شهد الكلام إن وجدوا ودورهم.

2- العوامل والظواهر الاجتماعية والمناخية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي وقت الكلام.

3- أثر الكلام في المشتركين كالاقتناع أو الألم أو الأغراء أو الضحك أو غير ذلك[1].

لهذا يقول فيرث «إن فكرة المقام أو سياق الحال هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة عند أصحاب المدرسة الإنجليزية » حيث ربط لنا فيرث المقام بعلم الدلالة بقوله أن المقام هو المحور الذي يدور حوله علم الدلالة، وأكد ذلك كمال محمد بشر حيث يقول" إن فكرة سياق الحال عند فيرث هي المفتاح الأساسي للتحليل اللغوي"[2]، ولم تقتصر نظرية السياق عند فيرث على هذا المصطلح الذي عرفت به الدرس اللغوي الحديث بل قد أولى فيرث عناية خاصة بالسياق الصوتي، إذ المعنى عنده كل مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية وأهم عناصر هذا كله هو الوظيفة الصوتية[3].

فالسياق الصوتي عند فيرث يقوم أساسا على فكرة المقابلات الاستبدالية على مستوى الكلمة فهو يلتقي في ذلك مع نظرية الفونيم مع الأخذ في الاعتبار أيضا الظواهر الصوتية الأخرى كالنبرى و التنغيم[4] .

---

[1]-عبد النعيم خليل ، دراسة لغوية نحوية دلالية، مرجع سابق، الصفحة 282.

[2]-كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، مرجع سابق، الصفحة 182

[3]- محمود السعران، علم اللغة، مرجع سابق، الصفحة 340.

[4]- عبد النعيم خليل، دراسة لغوية نحوية دلالية، مرجع سابق ، الصفحة 284 ،285

**2-3-السياق عند أولمان:**

وهناك من اللغويين من اعتبر المنهج السياقي خطورة تمهيدية للمنهج التحليلي نذكر أولمان الذي صرح قائلا أن المعجمي يجب أولا أن يلاحظ كل كلمة في سياقها (كما ترد الحديث أو النص المكتوب) بمعنى أننا يجب أن ندرسها في واقع عملي ثم نستخلص من هذه الأحداث الواقعية العامل المشترك العام ونسجله على أنه المعنى أو المعاني للكلمة يرى أنه بعد أن يجمع المعجمي عددا من السياقات الممثلة وحينها يتوقف أي جمع آخر للسياقات من إعطاء أي معلومات جديدة يأتي الجانب العملي إلى نهايته ويصبح المجال مفتوحا أمام المنهج التحليلي، بهذا ينخفض العدد اللامحدود من الأحداث الكلامية الفردية المتنوعة إلى عدد محدود من الأحداث الثابتة ولهذا فإن أولمان كان حريصا على التنبيه إلى أن المنهجين التحليلي والسياقي ليسا متضاربين وإنما يمثلان خطوتين متتاليتين في نفس الاتجاه[1] كما نجده يركز على الفرق بين اللغة والكلام، فاللغة ثابتة ومستقرة والكلام عابر سريع للزوال.

ويقول أيضا:«نظرية السياق إذا طبقت بحكمة فهي تمثل حجر الأساس في علم المعنى وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن فقد قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات فكل كلماتنا تقريبا تحتاج على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي سواء كان هذا السياق لفظي أم غير لفظي فالحقائق الإضافية المستمدة من السياق تحدد الصور الأسلوبية للكلمة كما تعد ضرورية في تفسير المشترك اللفظي بل لقد وسع أولمان مفهوم السياق فقال إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة و اللاحقة فحسب بل والقطعة كلها والكتاب كله[2].

[1]- أحمد مختار، علم الدلالة، مرجع سابق، الصفحة 155.

[2]- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، مكتبة الشباب، الطبعة الأولى،1986، الصفحة 32.

**2-4-السياق عند جاكسون:**

في كتابه نظرية اللغة الذي صدر في سنة 1934 حلل بوهلر وظائف الرموز اللغوية وخلص إلى القول ا لا تعدو أن تكون أدوات لكل منها وظيفته الخاصة التي تختلف باختلاف ما تعلق به ومن هنا عرفت نظريته بنظرية الوسيلة أو الأدوات ووفقا لهذه النظرية فإن الرمز اللغوي يؤدي إحدى وظائف ثلاث هي:

1-وظيفة التغيير بالنسبة للمتكلم .

2-وظيفة الاستدعاء بالنسبة للسامع.

3-وظيفة التوضيح بالنسبة للشيء المعبر عنه[1].

وقد اختلف اللغويون في تحديد هذه الجوانب في الاتصال وإن كانوا يتفقون على أن هناك طرفين للاتصال المرسل والمستقبل، حيث ذهب جاكسون إلى أن اللغة وظيفة مرجعية بالنظر إلى السياق وإذا ما أردنا أن نحدد مفهوم السياق فالمعبرين بالسياق في التفسير الدلالي إنما يعتبرونه لقيمته المرجعية و هنا عند جاكسون تكون اللغة وظيفة مرجعية بالنظر إلى سياق التخاطب فالسياق وظيفة لغوية تؤديها اللغة وحين تكون المرجعية التي هي وظيفة السياق عند جاكسون.

ووظيفة اللغة في الآن ذاته لا يكون المراد بهذه الوظيفة أكثر من الإحالة على الأشياء والموجودات التي تتحدث عنها وتقوم اللغة بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلغة[2].

ويمكننا الاستنتاج من هذا المخطط القول أن السياق له وظيفة مرجعية بالنظر إلى السامع (المستقبل) وله وظيفة تعبيرية بالنظر إلى المتكلم الذي أحل السياق في الرمز المشترك على اختلاف في درجة وضوح الإحلال.

---

[1]- عبد العليم البركاوي، مدخل إلى علم اللغة الحديث، دار المنار، القاهرة الطبعة الأولى، 1991، الصفحة 31 .

[2]- عبد العليم البركاوي، مدخل إلى علم لغة الحديث، المصدر السابق، الصفحة 48 .

## 2-5- السياق عند بلومفيلد:

يذهب ليونارد بلومفيلد إلى تحديد المعنى يشكل نقطة الضعف في دراسة اللغة وأن الأمر سيظل كذلك ما لم تتقدم معارفنا عما هي عليه الآن ولعل صعوبة البحث في المعنى كانت وراء ماذهب إليه بلومفيلد من أن المعنى لايدخل تحت الوصف اللساني وذلك أن المعارف الإنسانية لاتعف بتقديم ما يعطي تفسيرا لغويا أو غير لغوي مقبول من جهة نظر اللغويين[1].

وإذا كانت الميكانيكية الواضحة عند بلومفيلد تحدد المعنى بالموافق والمقامات أو ودود الأفعال الخاصة مع قصته الشهرة( جاك وميل) الكاشفة عن المعنى وإن ذلك يعنى أن بلومفيلد لم يكن بعيدا عن فكرة السياق بشكل عام وبخاصة سياق الموقف وإذا لم يكن مقصودا لذاته في صلب وجهة نظره اللغوية ولذلك يرى الباحثين أن بلومفيلد لم يكن شكلانيا وإنما كان ينقل عنه بحيث لا يمكن في اللغة فصل الأشكال من معانيها ومن غير المرغوب فيه.

## 2-6- السياق عند مالينوفسكي:

تمثلت البداية الحقيقية لنظرية السياق في جهود مالينوفسكي عندما صادف صعوبات جمة أثناء ترجمته لبعض الكلمات والجمل في البداية وخاصة لغات الهنود الحمر في أمريكا إلى الإنجليزية وبالتالي تأكد له أن الكلمات المعزولة عن سياقاتها لاتعدو أن تكون أصواتا مبهمة وبهذا اقترح حلا لهذه المشكلة ضرورة لتحليل أنماط السياقات الكلامية من ناحية ومراعاة المواقف الخارجية أو الظروف الغير اللغوية المصاحبة للأداء من ناحية أخرى ومن ثم ذاته عرف معنى الكلمة أو الوحدة اللغوية بأنها الوظيفة التي تؤديها بسياق ما[2].

فالعجز الذي واجهه مالينوفسكي كان الطريق نحو إعادة النظر في اللغة وبخاصة كونها وسيلة للتعبير عن أفكار ذلك أن كثيرا من العلماء الذين درسوا الشعوب البدائية ذهبوا إلى مثل ذلك بحيث تنعدم الوظيفة الإيصالية للأفكار والتغيير معا لتبرز وظائف اتصالية بحتة مثل التذكر( الارتباط بالماضي).

---

[1]- الدكتور تمام حسان، قرينة السياق، المصدر السابق، الصفحة 200 .

[2]- عبد العليم البركاوي ، مدخل إلى علم اللغة الحديث، المرجع السابق، الصفحة 50.

# الفصل الأول : بين التداولية و البلاغة

1-تعريف البلاغة

2-أطراف التواصل عند البلاغيين

3-المقام عند البلاغيين

4- التداولية

5- علاقة التداولية بالبلاغة

**1/تعريف البلاغة:**

**لغة:** البلاغة العربية تعني الوصول والانتهاء، يقال بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا ووصل وانتهى ومنه القول أبي القيس بن الأسمت السلمي:

قالت: وَلَمَ تَقْصَدَ لِقَيلِ الخَنَا مَهَلاً فَقَد أَبلغَتُ أَسمَاعي.

ويقال رجل بليغ وبلغ وبلغ حسن الكلام الفصيح، يبلغ بعبارة لسانه كنه في ما قيله .

إذن فكلمة البلاغة على إطلاقها تعني انتهاء إلى أعلى درجات الشيء حتى لا يكون بعده شيء أحسن سواء أكان هذا الانتهاء في الأمور مادية أو معنوية[1]

**اصطلاحا:**لقد أورد الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" العديد من تعار يف البلاغة منها.

تعريف ابن المقفع: حيث يقول:"البلاغة اسم لمعاني تجري في أمور كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الاحتجاج و منها ما يكون جوابا و منها ما يكون جوابا و منها ما يكون شعرا و منها ما يكون سجعا ومنها ما يكون خطبا ومنها ما يكون رسائل.

يتبين لنا في هذا المقام التصوري أن البلاغة تكون في العديد من الأمور مثل الاستماع والاحتجاج وجواب وابتداء وشعرا....

فعامة ما يكون من هده الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز وهو البلاغة [2].

كما عرفها معجم الوسيط على أنها البلاغة حسن البيان وقوة التأثير[3].

كذلك البلاغة هي إحدى علوم اللغة العربية، تعد اسم مشتق من فعل بلغ بمعنى أدرك لغاية أو وصل إلى النهاية و البليغ هو الشخص القادر على إيجاز الإقناع والتأثير بواسطة كلامه وأدائه.

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ترجمة عبد الله علي كبير، دار المعارف، القاهرة، الجزء الأول، الصفحة 346.

[2]– الجاحظ ، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة،1998 الجزء الأول، الصفحة 65

[3]– شوقي ضيف، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الجزء الرابع، 1450،2004، الصفحة70

فالبلاغة تدل في اللغة على إيصال معنى الخطاب كاملا إلى المتلقي سواء أكان سامعا أم قارئا فالإنسان حينما يمتلك البلاغة يستطيع إيصال المعنى إلى المستمع بإيجاز ويؤثر عليه أيضا، فالبلاغة لها أهمية في إلقاء الخطب والمحاضرات ووصفها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله :"إن من البيان لسحرا" رواه البخاري

ويقول ابن الأثير "مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم الإضغان والتسليم لأنه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرائقة و لا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستحيلة لبلوغ غرض المخاطب بها.

يبين لنا ابن الأثير أن البلاغة ينتفع بها بتداول الأفكار الراقية والمنمقة دون استحالتها في التخاطب إذن فالبلاغة هي مرتقى علوم اللغة وأشرفها، فالمرتبة الدنيا من الكلام وهي التي تبدأ بألفاظ تدل على معانيها المحددة ثم تندرج حتى إلى الكلمة الفصيحة و العبارة البليغة[1].

فالبلاغة اصطلاحا هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدا له اختصاص بتوقيه خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها[2]، وهي في أقصر عبارة مطابقة الكلام لمقتضى الحال والمقصود بالحال هنا هو الموضوع الذي من أجله يميز المتكلم حديثه بما يقتضيه هذا الحال فإنكار المخاطب حال يقضي أن تؤكد له الجملة فنقول: إن محمدا ناجح وذلك التأكيد هو مقتضى الحال[3].

ولقد ربط العلماء البلاغة بالعبارة والفصاحة بالكلمة المفردة حيث لا توصف الكلمة مفردة بالبلاغة وكثيرا ما توصف العبارة بالفصاحة وإذا ماصح أن يوصف اللفظ المفرد بالفصاحة فلا ينبغي أن يوصف بالبلاغة ذلك أن معنى اللفظ المفرد معنى مفرد ومن ثم لا يصلح بذاته أن يكون رسالة أو أن يوصف بالإفادة وإذا كانت البلاغة هي بلوغ المعنى ولما يطل سفر الكلام كما يقول ابن المعتز أوهي حسن

[1]-الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة تحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثالثة، دار الجيل، بيروت لبنان، الناشر مكتبة الأدآب، الصفحة 03.

[2]-الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، الصفحة85

[3]-أحمد الشايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، الطبعة السابعة، 1976، الصفحة 19.

الإبلاغ والتبليغ في كل ذلك يرتبط بالكلام المفيد دون الكلمة المفردة وهكذا تصبح البلاغة وصفا للكلام وأقله الجملة ولا حد لأكثره[1].

أما أبواب علم المعاني، المقصود من علم المعاني منحصر في ثمانية أبواب:

1-أحوال الإنسان الخبري.

2-أحوال المسند إليه.

3-أحوال المسند.

4-أحوال المتعلقات بالفعل.

5-القصر.

6-الإنشاء.

7-الفصل و الوصل.

8-الإيجاز والإطناب والمساواة.

فالكلام إما خبر وإنشاء لأنه أما أن يكون بنسبته خارج يطابقه أو لايطابقه أو لايكون لها خارج الأول الخبر والثاني الإنشاء ثم الخبر لابد له من الإسناد والمسند وأحوال هذه الثلاثة هي أبواب الثلاثة الأولى ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أو متصلا به أو في معناه هو الباب الخامس والإنشاء هو الباب السادس ثم الجملة إذا قرنت بأخرى فتكون ثانية إما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة وهذا الباب السابع ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدته أو غير زائد عليه وهذا هو الباب الثامن[2].

ومن هنا نستخلص أن البلاغة علم له قواعده وفن له أصوله وأدواته وهو ينقسم إلى ثلاثة أركان أساسية وهي:

1-علم المعاني.

2-علم البيان.

---

1- تمام حسان، الأصول دراسة استمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، البلاغة دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، الصفحة 339.

2- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين الناشرة مكتبة الآداب، الصفحة 38-39.

3-علم البديع.

## 1-علم المعاني:

هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق مقتضى الحال وقيل"يعرف" دون "يعلم" رعاية لما اعتبر بعض الفضلاء لتخصيص العلم بالكليات والمعرفة بالجزئيات كما قال صاحب القانون في تعريف الطب"الطب علم يعرف به أحوال بدن الإنسان ".

كما قال الشيخ أبو عمرو رحمة الله عليه:"التصريف علم بأصول يعرف به أحوال أبنية الكلام " وقال السكاكي"علم المعاني هو تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره[1].

ويختص بعنصر المعاني والأفكار فهو يرشدنا إلى اختيار التركيب اللغوي المناسب للوقوف كما يرشدنا إلى جعل الصورة اللفظية أقرب ما تكون دلالة على الفكرة التي تخطر أذهاننا وهو لا يقتصر على البحث في كل جملة مفردة على حدا ولكنه يمتد نطاق بحثه إلى علاقة كل جملة بأخرى وإلى النص كله بوصفه تغييرا متصلا عن موقف واحد.

وفي تعريف آخر، علم المعاني هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال حتى يكون وقف الغرض الذي سبق له، فيه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنى فنعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير الحذف والذكر الإيجاز حينا والإطناب آخر، الفصل والوصل[2].

## 2-علم البيان:

هو علم يعرف إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في الوضوح الدلالة عليه ودلالة اللفظ إما على ما وضع له أو على غيره والثاني: إما داخل في الأقل دخول السقف في مفهوم البيت أو الحيوان في مفهوم الإنسان أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف أو الضاحك عن مفهوم الإنسان وتسمى الأولى

[1]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المرجع السابق، الصفحة 37.

[2]- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة(المعاني، البيان، البديع)، دار الكتب العلمية، 1971، الصفحة 41.

دلالة وضعية وكل واحدة من الآخرين دلالة عقلية وتختص الأولى بدلالة المطابقة والثانية بدلالة التضمن بدلالة الالتزام[1].

ووردت كلمة البيان بدلالتها اللغوية في آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى:«هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين»[2].

بهذا التعليم تميز الإنسان عن كثير من خلقه وصار ناطقا مبينا يستطيع أن يعبر عما يخطر بخاطره ويجول في نفسه من المعاني فيوصلها إلى غيره من البشر ويتلقاها الغير عنه فيتم التفاهم.

وفي تعريف آخر علم البيان هو علم يبحث في وجوب مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطب وأحوال السامعين ويبحث في المعاني المستفاد من تأليف الكلام ونظمه وسياقه بمعونة القرائن فيتعرض لأساليب الخبر والإنشاء والإطناب والمساواة[3].

انحصر المقصود في التشبيه والمجاز والكناية وقدم التشبيه على المجاز من ابتداء الاستعارة التي هي مجاز على التشبيه وقدم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل.

## 3-علم البديع:

هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقية على مقتضى الحال ووضوح الدلالة وهذه الوجوه دربان: درب يرجع إلى المعنى ودرب يرجع إلى اللفظ[4].

وفي تعريف آخر: علم البديع يختص بعصر الصياغة وهو يعمل على حسن تنسيق الكلام حتى يجيء بديعا من خلال حسن تنظيم الجمل و الكلمات ، مستخدما ما يسمى بالمحسنات البديعية سواء اللفظ منها أو المعنوي وإذا نظرنا إلى تاريخ وضع العلوم العربية نجد أن معظمها قد وضعت قواعده وأرسيت أصوله في القرون الأولى من الإسلام وألفت العديد في نفس التغيير والنحو والتصريف والفقه وغيرها من فروع المعرفة وكانت البلاغة من أبطأ الفنون العربية في التدوين والاستقلال كعلم بمفرده له قواعده وأصوله

[1]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المرجع السابق، الصفحة 246.

[2]- سورة آل عمران، الآية 138.

[3]- الخطيب القزويني مرجع نفسه، الصفحة 247.

[4]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المرجع السابق، الصفحة 338.

لأن المسائل كانت متفرقة بين بطون الكتب كما كانت مصطلحاتها غير واضحة في الصور المطلوبة لكن ليس المعنى هذا أنها كانت مجهولة أو مهملة من الباحثين لكنها كانت موجودة لكن غير مستقلة[1].

وعلم البديع عرفه ابن خلدون بأنه هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق إما يسجع بفضله أو بتجنيس يشابه بين ألفاظه أو بترصيع بقطع أوزانه عن المعنى المقصود بإبهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما أو الطباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك[2].

أما أبواب علم البديع فالمقصود من علم البديع منحصر في:

المطابقة، المقابلة، تشابه الأطراف، التفويق ، الأرصاد ، المشاكلة ، الاستطراد ، المزاوجة ، الرجوع، التورية اللف والنشر، الجمع، التقديم، التجريد.

## 2/أطراف التواصل عند البلاغيين:

### 1-المتكلم:

جاء في تعريف أبي هلال العسكري للبلاغة"سميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه"[3].

فوجدنا أن غاية البلاغة هي نجاح المتكلم في إيصال ما يريده إلى السامع فمنه من نجده يصف البلاغة بأنها قول مفقه في لطف فالمفقه: الفهم واللطيف من الكلام : ماتعطف به القلوب الناقرة ويؤنس القلوب المتوحشة وتلين به العريكة الأبية المستعصية ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجة[4].

في عبارة هذه تتجلى وظيفة البلاغة الإفهامية والإقناعية إذن البلاغة هي الإبلاغ المفهم المؤثر إفهاما تأثيرا من شأنهما تحقيق الإقناع والاستمالة أي أن المتكلم يسعى إلى التأثير في السامع وإقناعه وفي هذا يتجلى البعد التداولي فالإقناع وظيفة تداولية.

[1]- الخطيب القزويني، مرجع سابق، الصفحة 339.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، دار التونسية للنشر، دون طبعة ، الصفحة 179.

[3]- أبوهلال العسكري، الصناعتين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، 1952، الصفحة 15.

[4]- أبو هلال العسكري، الصناعتين، مرجع سابق، الصفحة56 .

والوظيفة الأساسية للبلاغة هي الإقناع والإقناع هو حوار بين طرفين بهدف تسليم أحدهما برأي الآخر[1] أي أنها بين المتكلم مرسل وسامع مرسل إليه.

إلا أن البلاغة ركزت على المتكلم فهو طرف أساس في عملية الكلام وعنصر فعال في تحديد خصائص النص إذ يقع على عاتقه كلفة إخراجه على سمت يستجيب لمقتضيات الوظيفة والإبانة والوضوح.

وبما أن البلاغة وظيفتها الأساسية هي الإقناع ولا يكون المعنى مؤثرا مقنعا إلا بعد أن يفهم ويبين للسامع وسعيا منها أي البلاغة إلى تحقيق هذه الغاية وضعت مواصفات خاصة ترتبط بالكلام وذلك ضمن ما يسمى بشروط أو مواصفات الفصاحة فعلى المتكلم أن يتجنب هذه العيوب في كلامه حتى يتضمن نجاح اتصاله مع الطرف الآخر.

فمثلا بالنسبة للمتكلم يجب أن يتجنب لفصاحة المفرد ما يلي:

تنافر الحروف، الغابة، السمع[2].مثلا: لو تفحصنا الشروط الأول: التنافر وضرورة تجنب المتكلم لهذا العيب، نجد المتكلم لهذا العيب نجد الذوق العربي يحاول الابتعاد عن الظاهرة والمثال المشهور لهذه الظاهرة هو كلمة (مستشرزات) في قول امرؤ القيس[3]:

وفَرعٌ يَزِينُ المُتنَ أسُودٌ فَاحِمٌ أثَيْثُ كَقَنوِ النَخلَة المُتَعَثْكَلُ

غَدائِرُهُ مُسْتَشرِزَاتَ إلى العُلا تُضِلُ العِقَاصَ في مُثنّى وَمُرسَلُ

حيث سجل البلاغيون طروج هذه الكلمة في بنائها الصوتي عن حدود منطقة الفصاحة وذلك لثقلها عن اللسان المتكلم وعسر نطقه بها، مما يسبب خللا في العملية التواصلية.

أما الشرط الثاني سلبي أيضا أي أن المتكلم لا يستخدم لفظا غريبا يقول الباقلاني في ذلك على المنشئ أن يوقع اختياره على ألفاظ قريبة في دلالتها على المراد وواضحة في إبانتها عن المعنى مع

[1]- أحمد درويش، النص البلاغي في التراث العربي والأوربي، دار الغريب للطباعة والنشر القاهرة،1998، الصفحة 09.

[2]- ينظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة(البيان والمعاني والبديع)، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، الصفحة 17.

[3]- ينظر: الخطيب القزويني، التخلص في علوم اللغة تحقق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الصفحة 06.

ملاحظة ألا يكون اللفظ مستكره المطلع على الأذن ولا مستنكر المورد على النفس حتى يأتي بغرابته عن الإفهام أو يمتنع بتعويض معناه عن الإبانة[1].

فالغرابة تحدث نوعا من الانفصال بين المتكلم والسامع لبعد المعنى ودلالة الكلمة عنه مما يؤثر في العملية الاتصالية أيضا.

وبما أن اللفظة تسلك جانبي الفصاحة سلبا وإيجابا مع المفردة وكذلك أيضا الأمر مع التراكيب وقد اشترط شروط ثلاثة سالبة في التركيب ينبغي على المتكلم أن يتجنبها إذا أراد أن يدخل دائرة القبول وهي من ضعف التأليف، التعقيد اللفظي، التعقيد المعنوي.

أما الشرط الأول فيتصل بالجوانب الإيقاعية لحدود التركيب فكما ينفر الذوق السليم من تقارب مخارج العناصر الصوتية المؤلفة للوحدة الصوتية (الشرط الأول من الشروط الذي أشير إليها في شروط الفصاحة المفردة أو الكلمة) حيث يسبب تعثر اللسان في انتقالاته التحقيقية لمادتها الصوتية وكذلك الأمر حينما تنتظم الكلمة داخل مستوى التركيب وهذا يحدث نوعا من النقل الناتج عن إنتاج الصوت.

ومن شواهد هذا الشرط:

وقَبرُ حَرب بِمَكَانٍ فَقرٍ  ولَيسَ قُربَ قُبرٍ حَربَ قَبرٍ

فالوصول إلى المعنى أو الناتج الدلالي، وقصد المتكلم من كلامه يحتاج إلى مجاهدة ذهنية من قبل السامع[2]

أما الشرط الثاني فهو خلوص المنتج أو التركيب من ظاهرة ضعف التأليف وهو شرط يتصل بنواتج العملية الدلالية أو مايفهمه السامع من كلام المتكلم ويقصد به النظم الذي أشار إليه عبد القاهر الجرجاني حيث تتجاوز فيه الدلالة حدود اللفظة المفردة وتعددها إلى التركيب، أي لامزية للكلمة ودلالتها إلا بمقدار دورها الوظيفي داخل النص.

أما الشرط الأخير في شروط فصاحة التركيب فيتعلق بخلوصه من التعقيد الذي يقود إلى الغموض وهذا الشرط كذلك يشل حركة إيصال الدلالة ويغرق السامع في احتمالات

[1]- ينظر: الخطيب القزويني، التلخيص في علوم اللغة، مرجع نفسه، الصفحة 07.

[2]- الخطيب القزويني، مرجع نفسه، الصفحة 07.

افتراضية تؤدي إلى عطب الجزئيات المكونة للقطب الأخير في عملية الاتصال على الرغم من مجاهدات الذهنية وقد سجلت ظاهرة الوضوح والغموض في الفكر البلاغي والنقدي حضورا متميزا في الدراسات التي استهدفت قراءة شعر أبي تمام، المتنبي، البحتري

بذلك حاول البلاغيون بتحديد شروط وموصفات الفصاحة يستطيع المتكلم أن يبقى في حدود تضمن له وصول المعنى إلى السامع بوضوح وإبانة.

**2- السامع:**

فإذا انتقلنا إلى الحديث عن السامع فتظهر أهميته مما سبق فهو الشريك في العملية التواصلية وهو لا يقل أهمية عن الطرف الأول أي المتكلم فقد تجلى اهتمام البلاغيين بالسامع أو المخاطب من خلال بحوثهم حول المقام ومقتضى الحال وعلى اعتبار أن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال والحال عندهم هي حال المخاطب و بذلك ربطوا بين الصياغة اللغوية (المقال،الرسالة) وبين المخاطب وظروفه الاجتماعية والثقافية.

ويعتبر المخاطب الشريك في التصور العام من الناحية الإبداعية للرسالة فالمخاطب يحتل مركز الصدارة عندما يفكر المنتج بصياغة كلامه حيث يقول الجاحظ " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقيم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقيم أقدار المقامات و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[1]، فالمتكلم لابد له أن يراعي أقدار وطبقات المستمعين من الناحيتين الناحية السياسية والاجتماعية.

فلا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة لأن ذلك جهل بالمقامات وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام[2].

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، الصفحة 138-139.

[2]- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفني محمد شريف، دار الغريب للطباعة والنشر، الصفحة 37.

والغاية من هذه المراعاة هي نيل المنفعة من المخاطب وتجنب غضبه، ومن الزاوية الاجتماعية فإنها تراعي من حيث الألفاظ بحيث لا يستخدم المتكلم ألفاظ غريبة أو غير مفهومة فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس لما يفهم السوقي رطانة السوقي[1].

لذا يذكر المتكلم الحاضرة والمولودون من الغريب لا يعرفون وبما هم التي تفسيره متحاجون وأن تكلم العامة السخفاء بما تكلم به الخاصة الأدباء[2]، فالغاية من هذا المقام التصوري هي الفهم والإفهام.

فيقول أبو هلال أنه إذا كان موضوع الكلام على الإفهام فيجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس فيخاطب السوقي بكلام السوقة والبدوي بكلام البدو ولا يتجاوز إلى ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام وتعدم منفعة الخطاب[3].

وكذلك كما تنبه ابن وهب أيضا إلى ضرورة مراعاة الحالة النفسية للمخاطب حيث قال: وإذا رأى (الخطيب) من القوم إقبالا عليه وإنصاتا لقوله فأحبوا أن يزيدهم زادهم على مقدار احتمالهم و نشاطهم وإذا تبين منهم إعراضا عنه وتناقلا عن استماع قوله دقق عنهم فقد قيل من لم ينشط لكلامك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك[4]، فقد بين لنا هنا ابن وهب لزوم النظر إلى الحالة النفسية للمخاطب ومدى أهمية ذلك على المستمع.

وكان من معالم هذا الإطار أن يدعو إلى اختبار هذا الاستماع والتأكد منه إن كان تم دليل على انصراف السامع فقرروا إذا أنكر القائل عيني المستمع فليست فهمه عن منتهي حديثه وعن السبب الذي أجرى ذلك القول فإن وجده فقد أخلص له الاستماع أثر له الحديث وإن كان لاهيا عنه حرمه حسن الحديث ونفع المؤانسة وعرفه بقوله الاستماع والتقصير في حق المحدث[5]. وهنا يبين لنا أن السامع لا يؤثر في المتكلم في نشاطه وقدرته على الاستماع.

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الجزء الأول، الصفحة 144.

[2]- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، مرجع السابق ، الصفحة 105

[3]- أبو هلال العسكري ،الصناعتين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، الصفحة39.

[4]- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، مرجع سابق ، الصفحة 95 .

[5]- الجاحظ، البيان والتبيين ، المصدر السابق، الصفحة 41.

**3-الــمقام:**

لقد لاحظ البلاغيون منذ القديم بحيث انطلقوا في مباحثهم حول فكرة المقام وربطه بالصياغة أو التشكيلات الكلامية فقد اشترطوا مطابقة الكلام لمقتضى الحال فالحال أو المقام هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى إيراد خصوصية من التركيب المقتضى فهو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة أما مقتضى الحال هو إيراد الكلام على تلك الصورة[1].

والتهانوي في رأيه أن الحال يقول: الحال في إصلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أهل المعنى
خصوصية ما هي المسماة مقتضى الحال[2]، بحيث تمت دراسة هذه الظاهرة أي المقام ضمن مباحث علم المعاني الذي يعرفه القزويني بأنه هو ذلك العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي التي عن طريقها يطلق مقتضى الحال[3]، فالحال هي المقام أو الموقف الذي يجب أن يضع المتكلم كلامه على صورته أما مقتضى الحال فهو الأسلوب الذي ينسج على منواله وعن طريقه يصوغ ألفاظه ويضع لها التراكيب لتناسب الحال أما الأحوال اللفظ فهي تشكيلات الصياغة أي تلك التشكيلات التي يقع فيها اللفظ من أجل خلق صورة فنية أدبية تتناسب مع المقام.

فالقزويني في تعريفه للبلاغة يقول أنها في الكلام مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته فهو مختلف فإن مقالات الكلام متفاوتة فخطاب الذكي مع الغبي يختلف عن خطاب الذكي مع الذكي ولكل كلمة مع صاحبتها مقام وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقة الاعتبار المناسب وانحطاطه بعد مهاء فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب[4].

وبذلك لاحظ البلاغيون أن المخاطب لا يقيم على حالة واحدة وإنما يحتوي على حالات نفسية لا حصر لها والبليغ لايكون بليغا إلا وقف إزاء كل حالة بما يطابقها من القول والسبيل إلى ذلك أن يشتمل كلامه على الخصائص البلاغية التي تنتهي به إلى هذه المطابقة.

---

[1]- عبد القادر عبد الجليل، البلاغة والأسلوبية، الطبعة الأولى، دار الصفاء، 2012، الصفحة43

[2]- ينظر: المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الصفحة 36-37.

[3]- ينظر:القزويني، التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،الصفحة10.

[4]- السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب، العلمية، الطبعة الأولى، 2000، الصفحة 256-257.

وقد فصلت هذه الخصائص ضمن مباحث علم المعاني من بينها: التقديم والتأخير والإيجاز والإطناب والقصر والفصل كما كان مقياس الكلام في باب الحسن والقبول بحسب مناسبة الكلام لمقتضى الحال فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسن مقتضى الحال وإن كان مقتضى الحال في ذكر المسند إليه فحسن الكلام وروده على اعتبار المناسب وكذا إذا كان المقتضى ترك المسند إليه فحسن الكلام نظمه على وجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها وكذا إن كان المقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى وفصلها والإيجاز معها أو الإطناب[1]، فقد ارتبط الإيجاز بالإطناب بحال المخاطب وطبقته الاجتماعية والسياسية.

والإيجاز يجب أن يستعمل في مخاطبة الخاصة وذوي الإفهام الثاقبة الذي يجتازون بشير القول عند كثير وأما الإطالة ففي مخاطبة العلوم ومن ليس من ذوي الإفهام ومن لا يكتفي بسيره ولا يتقنها ذهنه إلا بتكريره وإيضاح تفسيره[2]، حيث الطبقة الاجتماعية في المستوى الادراكي والتفكير لدى المخاطب وبذلك ربطت البلاغة بين النص أو التشكيلات الكلامية وبين المقام وحال المتلقي ومن هذا المنطلق حاول صلاح فضل المقاربة بين البلاغة والتداولية.

**3/المقام عند البلاغيين:**

تظهر عناية البلاغيين بالسياق في عبارتهم المشهورة "لكل مقام مقال" كما اهتموا بأحوال المتكلم والمستمع وليس أدل على ذلك من ربط عبد القاهر الجرجاني فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه يقول:"وجملة الأمر أن لا توجب الفصاحة للفظة مقطوعة مدفوعة من الكلام الذهني فيه ولكن توجيها لها موصولة بغيرها ومعلقا بمعناها " بمعنى ما يليها فإذا قلنا في لفظة اشتعل من قوله تعالى:«واشتعل الرأس شيبا»أنها في أعلى المرتبة من الفصاحة لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالألف واللام مقرونا إليها الشيب مذكرا منصوبا[3].

[1]- القزويني، التخلص في علوم البلاغة، مرجع سابق، الصفحة 10.

[2]- ينظر: ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، مرجع سابق، الصفحة 97.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تقديم رشيد رضا، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية دار الطبع، 1992،الصفحة 56.

كما أخذ البلاغيون حركات الأشخاص إيماءاتهم وإشاراتهم باعتبارها عنصرا من عناصر المقام كما فعل السياقيون غير أن هؤلاء كان عندهم عنصرا من العناصر التي تساعد على وضوح الدلالة التامة وإبرازها بينما هي عند البلاغيين من العناصر التي تساعد على توصيل الدلالة إلى السامع والإفصاح عنها.

كما انصب اهتمام البلاغيين في دراستهم للسياق على فكرة مقتضى الحال والعلاقة بين المقام والمقال فأما مصطلح مقتضى الحال فقد اهتم به علماء المعاني والحال في اصطلاحهم يعدل مقتضى الحال في هذا الصدد يقول التهناوي:" والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه الخصوص أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما هي المسماة بمقتضى الحال، مثلا كون المخاطب منكرا لحكم الحال يقتضى تأكيد الحكم والتأكيد مقتضاها... وعلى هذا النحو قولهم (علم المعاني) علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال أي يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك معللة بالأحوال"[1].

فمن الواضح أن أهل علم المعاني اهتموا بأحوال المتكلم والمستمع والتعريف يقتضي أن يكون المتكلم على علم بأحوال السامع قبل أن يتكلم، حتى يأتي بالكلام على صفة مخصوصة تتطابق مع حال المستمع.

وإذا ما نظرنا إلى المقال على أنه يمثل"السياق اللغوي" فإننا نجد أن البلاغيين قد أولوا عناية كبيرة ويقول الجرجاني أيضا أنها في أعلى مرتبة من الفصاحة.

من خلال ما سبق يتضح لي أن المقام على أنه "سياق الموقف" وجدنا ذلك أيضا واضحا عند البلاغيين فهذا عبد القاهر الجرجاني يربط الكلام بمقام استعماله، ومراعاة مقتضى حاله وهو لُبُ دراسة المعنى اللغوي عنده ومنبثق من نظريته للنظم وثار على اللغويين العرب، لأنهم لم يستفيدوا من مبدأ جيد وضعه سيبويه مراده ربط الكلام بمقام استعماله بل وقع في ظنهم أن كل تقديم أو تأخير أو حذف...

[1]- معجم اللغة النظري، للدكتور محمد الخولي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1982، الصفحة 67.

أما القزويني في تعريفه للبلاغة يقول: البلاغة في الكلام في مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وهو مختلف فإن مقالات الكلام متفاوتة: فمقام كل من التنكير والإطلاق والتقديم والذكر يباين مقام خلافه ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام خلافه وكذلك خطاب الذكي مع خطاب الغبي ولكل كلمة مع صاحبتها مقام وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقة الاعتبار المناسب وانحطاطه بعد مهاء فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب[1].

وبذلك لاحظ البلاغيون أن المخاطب لا يقيم على حالة بما يطابقها من القول والسبيل إلى ذلك أن يشتمل كلامه على الخصائص البلاغية التي تنتهي به إلى هذه المطابقة.

وقد فصلت هذه الخصائص، ضمن مباحث "علم المعاني" من بينها: التقديم والتأخير والإيجاز والإطناب والقصر والفصل.

كما كان مقياس الكلام في باب الحسن والقبول بحسب مناسبة الكلام لمقتضى الحال فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسن مقتضى الحال والقوة وإن كان مقتضى الحال في ذكر المسند إليه فحسن الكلام وروده على اعتبار المناسب وكذا إذا كان المقتضى ترك المسند إليه فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة ، ومن الاعتبارات المقدم ذكرها وكذا إن كان المقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى وفصلها والإيجاز معها أو الإطناب[2]، أعني طي جملة عند البين ولا طيها فحسن الكلام تأليفه مطابقا لذلك.

مثلا فقط ارتبط الإيجاز والإطناب كمقتضى بحال المخاطب وطبقته الاجتماعية والسياسية "والإيجاز ينبغي أن يستعمل في مخاطبة الخاصة وذوي الإفهام الثاقبة الذين يجتازون بسير القول عند كثيره وبكلمة عن تفسيره...وأما الإطالة ففي مخاطبة العلوم ومن ليس من ذوي الإفهام من لا يكتفي يسيره ولا يتقنها ذهنه إلا بتكريره وإيضاح تفسيره"[3]، حيث الطبقة الاجتماعية في المستوى الإدراكي والتفكير لدى

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ، 2000، الصفحة 256،257.

[2]- القزويني، التخلص في علوم البلاغة، مرجع السابق، الصفحة 11.

[3]- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، دار الغريب للطباعة والنشر، الصفحة 97.

المخاطب وبذلك ربطت البلاغة بين النص أو التشكيلات الكلامية وبين المقام وحال المتلقي ومن هذا المنطلق حاول صلاح فضل المقاربة بين البلاغة والتداولية.

فمن الأوائل من تحدثوا عن فكرة المقام من البلاغيين ابن المقفع (ت145هـ) حين سئل عن معنى البلاغة فقال: البلاغة اسم جامع لمعادن تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت منها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة.

فأما الخطب بين السماطين وفي إصلاح ذات البين فالإكثار في غير خطل والإطالة في غير إملال وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو[1]، وعلى ذلك فقد أورد ابن المقفع في هذا النص من عناصر السياق مايلي:

1-فكرة المقام وإن كانت هذه الفكرة تعنى عند الموضوع الذي سيق من أجله الكلام، فهناك من الموضوعات ما يحتاج إلى إطالة ومنها ما يحتاج إلى إيجاز فأما الخطيب بين السماطين وفي إصلاح ذات البين فالإكثار في غير خطل والإطالة في غير إملال[2].

2-السكوت والاستماع و الإشارة، حيث لا يظهر ذلك إلا من خلال الوقف اللغوي الفعلي الذي يتمثل في سياق الحال بتمامه وهذه من عناصر ذلك السياق.

3-السامع حيث يرى أنه من عوامل نجاح الخطيب ألا يمل السامع بالإطالة وهو بذلك أخذ في اعتباره هذا العنصر السياقي شرط أن يكون هذا السامع مثاليا مجردا من الحسد والعداوة.

وقد جاءت هذه الفكرة أيضا على لسان بشر بن المعتمر فيما رواه عنه الجاحظ في كتابه البيان والتبيين يقول: وكن في ثلاث منازل فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيق عذبا وفخما سهلا وأن يكون معناك زاهرا مكشوفا وقريبا إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت وإما عند العامة إن كنت

1- الجاحظ، البيان والتبيين تحقيق وشرح عبد السلام هارون مكتبة الخانجي ، القاهرة، الطبعة الخامس، الجزء الأول، 1985،1405، الصفحة 115

2- الجاحظ، البيان والتبيين،المصدر السابق، الصفحة 116.

للعامة قصدت والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال ما يجب لكل مقام من المقال[1].

إذن فالمقام عند البلاغيين هو كل ما يعين على فهم الحدث اللغوي ويساعد على إبراز المعنى سواء كان متصلا بالسامع أو المتكلم أو علاقة كل منها بالآخر أو الأشخاص الآخرين المشتركين في الكلام أو حتى غير المشتركين ممالهم علاقة من قريب أو بعيد بالحدث اللغوي أو الزمان أو المكان الذي يتصل بالحدث اللغوي وغير ذلك كثير مما يتمثل

في الظروف الاجتماعية والبيئة النفسية والثقافية للمتكلمين أو المشتركين في الكلام.[2]

والمقام عند أصحاب هذه النظرية ليس مجرد مكان يلقى فيه الكلام وإنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة آخذ بعضها بحجز بعض، فهناك الموقف كله بمن فيه من متكلمين وسامعين وعلاقاتهم بعضهم ببعض وهناك كذلك ما في الموقف من الأشياء والموضوعات المختلفة التي قد تفيد في فهم الكلام والوقوف على خواصه وهناك كذلك الكلام نفسه وهذا الكلام في حقيقة الأمر، ليس إلا عنصر واحدا من عناصر المسرح اللغوي بأكمله ولا يتم فهمه إلا في هذا الإطار العام بما فيه من شخوص وديكور وعدد وآلات....الخ.

وفي هذا المقام ينبغي ألا نهمل حركات الشخوص وسلوكها وما يتبع الكلام أو يصحبه من حركات الجسم وإشارات وإيماءات وعزل الكلام عن هذا الموقف الحي يحيله إلى شيء مشوه أو شيء جامد جمود أمثلة المعلمين في فصول تعليم اللغات[3].

حيث وجد البلاغيون جل حديثهم في المقام عن السياق اللغوي أو تركيب العبارة أو الجملة من منطلق عنايتهم بالصحة الخارجية للكلام في معظم مناهج البحث اللغوي عندهم وأخذ البلاغيون فكرة المقام قي اعتبارهم بهدف الوصول إلى أعلى مستوى بلاغي للنص فقد كانت نظرتهم للمقام تتصف بما يلي:

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، المصدر السابق، الصفحة 136.

[2]- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، 1988، الصفحة 135.

[3]- كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الأول والثاني، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية،1981، الصفحة 65.

1-الاهتمام بالبحث عن الصواب والخطأ بمعنى أنها كانت نظرة معيارية تعليمية في المقام الأول وهو ما يتفق ومناهج البحث اللغوي عند العرب القدماء يقول الخطيب القزويني"إن البلاغة في الكلام مرجعها الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره"[1]، وتلك نظرة معيارية.

2-اتجهوا في نظرتهم إلى المقام ناحية السياق اللغوي وهو بالطبع يختلف عن السياق الاجتماعي أو سياق الحال عند أصحاب النظرة السياقية إذا فالبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وهو مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة فمقام كل من التنكير والإطلاق والتقديم والذكر، يباين مقام خلافه ومقام الفصل يباين مقام الوصل ومقام الإيجاز يباين مقام خلافه وكذا خطاب الذكي مع خطاب الغبي ولكل كلمة مع صاحبتها مقام وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدمها فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب فالبلاغة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى بالتركيب وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة أيضا[2].

بحيث أن البلاغيون لاحظوا المخاطب باعتباره عنصرا من عناصر السياق الاجتماعي في نظرية السياق لكن من منطلق الاهتمام بتركيب العبارة أو الجملة بحسب حال المخاطب فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد فيه استغنى من مؤكدات الحكم.

فقد اهتم البلاغيون بالتركيب اللغوي ببناء العبارة أو الجملة متى يكون التركيب خاليا من المؤكد ومتى يكون بمؤكد واحد ومتى يحتاج إلى اثنين وهذا من قبيل العناية بالسياق اللغوي لا أكثر وإن كان قد اشتمل على عنصر من عناصر المقام كما ينادى به أصحاب النظرية السياقية وهو المخاطب[3].

أما اللفظ فهو العنصر اللغوي في الكلام وأهميته لا تحتاج إلى تعليق والإشارة هي ما نص عليها المحدثون ضمن حركات الشخوص وإيماءاتهم وإشارتهم لمالها من أهمية في إبراز المعنى يقول الجاحظ فأما الإشارة فباليد وبالرأس والعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان بالثوب وبالسيف قد يتهدد رافع

[1] -الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الجيل،بيروت لبنان، شرح عبد المنعم خفاجي،الصفحة 09.

[2] -القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، المرجع السابق، الصفحة 34.

[3] -عبد النعيم خليل، دراسة لغوية نحوية، دلالية، المرجع السابق، الصفحة 168.

السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا راجعا ويكون وعيدا وتحذيرا والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وتغنى عن الخط[1].

ثم يقول وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة يسرها الناس من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب ألبته[2]، وعليه فقد أخذ البلاغيون حركات الشخوص وإيماءاتهم وإشاراتهم باعتبارها عنصرا من عناصر المقام.

**4/التداولية:**

## 1-مـفهـوم التـداولـية:

شغلت التداولية حيزا كبيرا من الدرس اللساني الحديث، فقد ذهبت أقلام الباحثين بالبحث والتنقيب إلى ماهيته المصطلح في الكتب المترجمة وغير المترجمة وسيكتفي البحث هنا بغرض أكثر التعريفات شيوعا لأنه من الصعب أن لم يلم البحث بتعريف جامع مانع للمصطلح وربما يعود ذلك لكثرة تناوله من مختلف العلوم مما سبب اختلافاً في ماهية المصطلح بل إن استعماله في اللغة أضحى متباينا لتباين وجهات النظر في هذا المفهوم أصلا لذلك لابد من دراسة المفهوم لغة واصطلاحا.

### 4-1-لغـــــة:

جاء في لسان العرب لابن منظور:«دَالَ يَدُول دَالَةً ودوالًا، إِذْا صَارَ شُهْرَةً....، والانتقال من حال إلى حال ودالته الأيام أي دارت وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، ويقال تداولنا العمل والأمر تداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه فَعَمِل هَذَا مَرَّةً وهذا مَرَّةً»[3] فالمتداول هو المشهور أو هو المتعارف عليه أو المنتقل أو الدارج أو المتبادل وكلها تصب في بوتقة التداولية وروافده.

---

1- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون مكتبه الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1405، 1985، الصفحة 55.

2- الجاحظ، البيان والتبيين، المصدر السابق، الصفحة 65.

3- ابن منظور، لسان العرب (ت 711هـ)، الطبعة الثالثة، دار صادر بيروت لبنان، 1414هـ، الصفحة 303.

## 4-2-اصطـــلاحا:

يرجع أول استعمال لمصطلح التداولية إلى الفيلسوف "تشارلز موريس" سنة 1938 إذا قدم تعريفا في سياق تحديده للإطار العام لعلم العلامات simiologie فيراها العلاقة بين العلاقات ومستعملي هذه العلامات[1] وهي دراسة علاقة العلامات بمفسريها[2].

ويبدو أن أغلب من اشتغل في الحقل اللساني لم يبتعد كثيرا عما جاء به موريس من تعريفه للمصطلح التداولي فنرى الدكتورة نادية النجار عند التعرض للتعريف بالمصطلح لم توسعه كثيرا، فقد سلكت مسلكا قريبا من مسلك موريس فتعرفه بأنه«فرع لساني يعنى بدراسة التواصل communication بين المتكلم والمتلقي»[3]، أو هي بحسب جورج بول: فهم المعنى الذي يقصده المتكلم[4]

وذكر الدكتور"مسعود صحراوي"تعريفا ينم عن إلمامه بالجهاز التداولي المعرفي المتطور فيقول:«التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي وتصير التداولية من ثم جديرة بأن تعرف بأنها استعمال اللغة وقد نقول في تعريفها: بأنها نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية »[5].

أما الباحثة الفرنسية"فرانسواز أرمينكو" فقد عرفت التداولية على وفق ماتمتلكه من آيات معرفية لتقريب الصورة للمتلقي ووضعها في إطار مناسب، فالتداولية عندها«دراسة الشروط الفبلية للتواصلية كما هي فلا يوجد طابع يرتبط بالظروف التجريبية بل بشروط دلالة تواصلية عامة»[6].

---

[1]- ينظر: التداولية والبلاغة: باديس لهويمل، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة العربية، جامعة محمد خيضر، العدد السابع الصحيفة 158، بسكرة، الجزائر، 2011، الصفحة 29.

[2]محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، الطبعة الثانية، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، 2007، الصفحة 138.

[3]- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، الطبعة الأولى، مؤسسة حورس الدولية، 2013، الصفحة، 09 .

[4]- جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتابي، الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط، 2010، الصفحة 19.

[5]- مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدرس اللغوي بحث منشور ضمن كتاب﴿التداولية علم استعمال اللغة﴾إعداد وتقديم، جاحظ اسماعيلي علوي، الطبعة الأولى، دار الكتاب الحديث إربد، لبنان، 2011، الصفحة 32.

[6]- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية ترجمة سعيد علوش، الصفحة 840.-

فيما عرفها الدكتور صلاح فضل بشيء غير محدد مما يضفي عليها طابع العمومية فهي عنده ممارسة للحوار بين المخاطب والمخاطب تواصلا بينهما مستعملين وسائل معنية للتأثير على بعضهما[1].

ويرى الدكتور "مؤيد آل صونيت" أنها:«دراسة الاستعمالات الفعلية للخطة الكلام وما يتولد عنها من دلالات في المقامات الخطابية في إطار التواصل ومقاصد الخطاب اللغوي»[2].

وقد جمع الدكتور" محمود أحمد نحلة " أشهر التعريفات، ثم خرج بتعريف شامل يراه أوجزها وأقربها للقبول فعنده أن التداولية تعني:«دراسة اللغة في الاستعمال inuse أو في التواصل interaction لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالمتكلم وحده لا السامع وحده فصناعة المعنى تتمثل في تداول negotition اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد مادي واجتماعي ولغوي وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما»[3].

ويلخص الباحث مما تقدم أن التداولية طريقة للتواصل الشرط الأساس فيها وحدة البيئة اللغوية وما يحمله طرفا الخطاب من مرجعيات ثقافية من شأنها تقوية ذلك التواصل.

## 2-نشأة التداولية:

لم تكن ولادة التداولية دفعة واحدة، بل كانت على دفعات بسبب اختلاف العلوم التي انبثقت منها لتكون في نهاية المطاف علما يعرف بالتداولية ، إذ تعاقبت عليها التيارات حتى نضجت واستوى عودها وإذا حاولنا البحث عن الجذور الأولى للتداولية فيمكن أن نتلمسها في الاتجاه التحليلي في الفلسفة التحليلية وهو الاتجاه الرئيس في فلسفة اللغة أو التيار الغالب في الفلسفة المعاصرة الذي ركز على موضوع اللغة وحاول إحداث انقلاب في مهمة الفلسفة وموضوعها وممارستها[4].

[1]- ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص،﴿د-ط﴾ عالم المعرفة، الكويت، 1990م، الصفحة 97،98.

[2]- مؤيد آل صونيت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، الطبعة الأولى، مكتبة الحضارة، بيروت لبنان، 2010، الصفحة

[3]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، دار الطبع المعرفة الجامعية، 2002م، الصفحة 14.

[4]- ينظر: مؤيد آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مصدر سابق، الصفحة 24.

إذ يرى أحد الباحثين أنه على الرغم من أن التداولية منهج لساني حديث إلا أنه يمكن أن يؤرخ له منذ القدم فكانت تستعمل كلمة pragmaticus اللاتينية وكلمة pragmaticos الإغريقية بمعنى علمي[1].

ولعل التجديد الفلسفي الذي جاء به "فريجة" قد أثر على عدد من الفلاسفة منهم هرسرل Hursser وكارناب Carnep وفيتغنشتاين Wittgenstein وأوستين ،Austinوسيرل ،Searleوغيرهم إذ تجمع بينهم مسلمة عامة مفادها " أن فهم الإنسان لنفسه وعالمه متوقف على فهم اللغة " ويمكن أن تحمل مطالب الاتجاه التحليلي ب:[2]

2-1-ضرورة التخلي عن أسلوب البحث القديم وخصوصا الجانب الميتافيزيقي فيه

2-2-تغير مركز الاهتمام الفلسفي من موضوع (نظرية المعرفة) إلى موضوع (التحليل عامة ومنه التحليل اللغوي)لأنه بؤرة العلم.

2-3-البحث عن الجدة وتعميق بعض المباحث اللغوية وخصوصا الدلالة والظواهر اللغوية المتفرغة عنها.

ولا ريب في أن البحث التداولي قد انبثقت جدوره الأولى من الثقافة الانجلوساكسونية Ngosaxonne التي اعتراها التطور في أمريكا وبريطانيا، بسبب وجود الاتجاهات الفلسفية المتباينة[3].

جذوره الأولى لا بد الاشارة إلا أن بدرة التداولية الأولى زرعها فلاسفة اللغة عن طريق مناقشات "جون أوستن" Austine سنة 1950 في جامعة هارفارد ومحاضرات بول كرايسP.crice سنة 1967 وأن هذه المحاضرات ساهمت بشكل فعال في إحداث إنقلابة طالت تغيير خارطة اللسانيات بسبب اكتشاف أبعاد التداولية وفتحت آفاقا جعلها مسوغا للأعتراف بالتداولية بوصفها من البحوث الحديثة في اللسانيات، البحث الذي يعنى عناية بالغة بالسياق والمقام والمتلقي والمتكلمين ومقاصدهم[4] .

---

[1]- ينظر: عادل الثامري ، التداولية واللسانيات، WWW.booroD.moc

[2]- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة ، بيروت لبنان، 2005 ، الصفحة 21- 22.

[3]- ينظر: مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر المجلد 33، العدد الأول، الكويت ، 2001، الصحيفة 245.

[4]- ينظر: علي عزت، البعد التداولي عند سيبويه والاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، الطبعة الأولى، دار نوبار ، القاهرة ، 1996 ، الصفحة 51.

ومن ثم جاء الفيلسوف أمريكي جون سيرل(Gohn searl )، فقد أضاف تعديلات وتحسينات كثيرة على مجهودات جون أوستن في كتابه Speech Asts الذي صدر سنة 1969[1].

ويمكن أن تعد هذه البدايات الأولى لظهور التحليل التداولي والتي وضع ركائزها كل من أوستن وسيرل وهي بمثابة الأصول في الدرس التداولي ثم أعقبهما مجموعة من الباحثين الفرنسيين الذين اهتموا كثيرا بهذا المنهج منهم إميل بنفسيت (Emile Benvenste) ودومنيك مانغونو( Dominique mainguenean) وأزوالد ديكر و (Oswald Ducrot) وأريكيوني (Orkuwone) فوظفوا جل المفاهيم التي جاءت عن طريق أوستن وسيرل في أبحاث عن التحليل التداولي للخطاب فكانوا أصحاب فضل كبير في التعريف بالمنهج[2].

وخلاصة القول أن الدرس التداولي نشأ في أجواء معرفية ركزت على اللغة دراسة وفهما وتوضيحا وأسهمت إسهاما واضحا في فتح فضاءات لدراسة ظواهر دلالية وتداولية كانت توسم بأنها مهملة أو ممشة إذا حدث الانتقال من الإرث السوسيري وتأثيرات المدرسة البنيوية للغة في تهيئة الأجواء لبروز اللسانيات التداولية وما صحبها وانبثق عنها من اتجاهات لسانية وظيفية أعطت الدرس اللغوي روحا جديدة لم يألفها من قبل بطريقة ممنهجة وعلمية[3].

## 3-خصائص التداولية:

للتداولية خصائص تتمتع بها وهي من أهم ركائزها التي تتكئ عليها في المجال اللساني وتعد السلاح الذي تتسلح به، تتميز نفسها عن بقية الاتجاهات اللغوية فيها تحلل ما لم تحلله الاتجاهات الأخرى وسيقف البحث على إيضاح هذه الخصائص كما جاءت في كتب اللسانيات التداولية التي سلطت الضوء عليها من أكثر من زاوية وأشهر هذه الخصائص هي:

[1]- فريدة موساوي، المقام في الشعر الجاهلي تناول تداولي لمعلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة رسالة ماجيستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر،2005م، الصفحة 08.

[2]- المقام في الشعر الجاهلي، تناول تداولي، المصدر السابق، الصفحة 08-09 .

[3]- مؤيد آل صونيت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، المصدر السابق، الصفحة 25.

1-التداولية لا تنتمي إلى أي مستوى من مستويات الدرس اللغوي سواءً صوتيا كان أم صرفيا أم نحويا أم دلاليا بل من الممكن أن تستوعب جميع تلك المستويات[1].

2-إن التداولية تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي، بل هي لسانيات الاستعمال اللغوي والبحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى.

3- تعتمد التداولية أيا من وحدات التحليل اللغوي على أن تكون خاصة بها.

4-تدرس التداولية اللغة من وجهة وظيفية عامة(معرفية واجتماعية وثقافية).

5-تعد التداولية الملتقى الذي تجتمع عنده مجالات العلوم التي لها صلة باللغة كونها وصلة بينهما وبين لسانيات الثروة اللغوية[2].

4-مهام التداولية:

للتداولية مهام وضعها المؤسسون لها من أجل الإرتقاء بالتواصل هي:

1-دراسة استعمال اللغة التي تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة كونها كلاما محددا صادرا من متكلم محدد وموجها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصلي محدد لتحقيق غرض تواصلي محدد.

2-شرح كيفية جريان الطرق الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

3-بيان أهمية التواصل غير المباشر في التواصل بين أطرف الخطاب.

4-شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات[3].

5-مد جسور التواصل بين العلوم الإنسانية (اللغة والتواصل والإدراك)

6-العناية بالشروط الواجبة لضمان نجاح الأقوال اللغوية وملائمتها في التواصل[4].

7-كيفية ربط اشتراطات القولة وأسس التفاعل الإبلاغي ببنية الخطاب وتفسيره.

---

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار الطبع دار المعرفة الجامعية ، 2002 ، الصفحة 10.

[2]- فيليب باتشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان ترجمة صابر الحباشة، الطبعة الأولى، دار الحوار، سورية، اللاذقية، 2007م، الصفحة 181.

[3]- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة لظاهرة في التراث اللساني العربي، الطبعة الأول، دار الطليعة، بيروت لبنان، 2003، الصفحة 27.

[4]- ينظر:خلود العموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، جدار للكتاب العالمي، عمان الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن،2008، الصفحة 28.

**5/علاقة التداولية بالبلاغة:**

إن البلاغة العربية والتداولية يشتركان في الاعتماد على اللغة، يقدمها أداة لممارسة الفعل عن المتلقي في سياقات مخصوصة لذلك نجد من المحدثين من يسوي بين البلاغة والتداولية مثل جيفري ليتش حيث يرى أن البلاغة تداولية في صميمها، إذ إنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع[1]، فكلاهما يهتم بعملية التلفظ والعوامل المتحكمة فيها قبل الكلام وأثناء التلفظ بالخطاب وإلى غاية إنجازه، فالبلاغة والتداولية علمان يتفقان في دراسة الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل وعوامل المقام المؤثرة في اختياره أدوات معينة دون أخرى للتعبير عن قصده كالعلاقة بين الكلام وسياق الحال وأثر العلاقة بين المتكلم والمخاطب على الكلم والمقاصد من الكلام[2]، فكلا من البلاغة والتداولية يتفقان في دراسة الوسائل اللغوية التي يستخدمها المتكلم وقد تحقق للبلاغة هذا التقارب في المعالجة في اللسانيات التداولية من خلال دراستها تعابير لغوية بمستوياتها المختلفة (صوتية، صرفية، تركيبية، دلالية) والبحث في لعلاقات القائمة بينها، وسياقات استعمالها أي أنها تهتم بكل ما يرتبط باللغة وممارستها كأنها تبحث في نظرية تواصلية شاملة لكل عناصر الحدث الكلامي فالبلاغيون العرب واللغويون بصفة عامة تركزت دراستهم على محاولة وصف ما بين اللغة وظيفتها من ترابط فباعتبار التراكيب اللغوية رسائل لتأدية تواصلية معينة انصبت هذه الدراسات على رصد العلاقة بين كل نمط من أنماط التراكيب والغرض المتوخي تحقيقه وعلى أساس هذا المبدأ درست وظائف عديدة نحو التقييم، التركيب، التخصيص[3].

فعلماؤنا البلاغيين بحثوا عن أثر المعنى ضمن السياق وبالتالي ضمن النص فاهتموا

في سبيل ذلك بجملة من المبادئ والوظائف تعد من صميم البحث التداولي حديثا لعل

من أبرزها:

-دراسة مجالات الترابط بين البينة والوظيفة.

-دراسة اللغة العربية بعدها وسيلة للتواصل والتعبير عن الأغراض والمعاني فهي ذات قيمة نفعية تعبيرية .

1- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، مجلد1، الطبعة الأولى،2004، الصفحة121

2- جون براون، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق محمد لطفي، جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية ، دار الطبع ، 1997، الصفحة32

3- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دون طبعة، 1985، الصفحة 84.

-اهتمامهم بعناصر الخطاب: المتكلم وقصده السامع وأحواله للخطاب ونوعيته والظروف المحيطة لكل ذلك.

-دراستهم للأساليب وأغراضها وانتقالها من الدالة الحقيقية إلى دلالات أخرى يقتضيها المقام بخاصة وأن اللغة العربية:"تشتمل على طائفة من الصيغ والأدوات التي يريد المتكلم تضمينها كالتقرير والاستفهام والتمني والأخبار، النفي والإثبات والطلب والترجي فكان على طوائف من علماء العرب ولاسيما البلاغيين الدارسين لعلم المعاني أن يتعرضوا للقوى المتضمنة في القول بغرض تحديد ما يقتضيه الحال معين نزولا عن قاعدة مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

-دراستهم لمجموعة من الوظائف النحوية: التخصيص، التقييد، التوكيد دراسة وظيفة تداولية[1].

ولاشك في أن البلاغة هي أحد العلوم المهتمة بالمعنى وهي علي علاقة وثيقة بالأدب لأنها ترمي إلى إيصال غاية إلى المتلقي من أجل التأثير فيه وإقناعه وفي الحقيقة أن التحليل البلاغي للأدب وإن أسهم في إبراز مكون حججي تبنى عليه معظم الأعمال الأدبية الكلاسيكية والشعر السياسي[2].

كما أن العلاقة بين البلاغة والتداولية تتمثل في رصد كيفيات إيصال المعنى إلى المتلقي لأنه هو الذي يعيد إنتاج الرسالة من خلال فعل القراءة ولابد من أن يتمكن من فك شفرة هذه الرسالة ولا يكون ذلك إلا بإعادة تحليلها وفق الفهم[3].

كما أننا لا يمكننا إقصاء العلمين إما البلاغة وإما التداولية ليست واردة هنا ذلك أن نفهم البلاغة يعني فهم التداولية فالتداولية تهتم بالسياق وأنواعه ونظريات أفعال الكلام وهذا كله موجود بالدراسة البلاغية للأدب بحيث كانت التداولية في بداية الأمر إحدى الفروع الثلاثة المكونة للسيمولوجيا وهي العلاقات أو الرمز ودلالتها وعملية توصيلها فكانت التداولية تعنى بهذا القسم الأخير.

[1] -مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، المصدر السابق، الصفحة 60.

[2] - ينظر: محمد مشبال، البلاغة والأدب، دار العين، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010، الصفحة 50.

[3] - صلاح فضل، بلاغة الخطاب، دار الكتب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 2004، الصفحة 31.

ولهذا فإن التداولية اهتمت أولا بوصف العلاقة بين العلامات ومن يستخدمونها ثم لم تلبث أن حلت كلمة نصوص محل علامات بحيث أصبحت التداولية تعني بتحليل العلاقة بين النص ومن يستخدمه[1].

وهذا كله يرجع إلى المعنى الذي يربط بين العلم ولايتم هذا إلا من خلال تحديد السياق لأن غاية المرسل هي إفهام المرسل إليه حيث يشترط فيه معرفة مستويات اللغة المختلفة بغرض التواصل فالسياق ضروري في البلاغة التداولية أي على مستويات الكلام وهو المحيط اللساني لوحدة لغوية ويقصد بها المحيط هنا مجموع العناصر الحاضرة بالفعل في النص بجوار مباشر أو بعيد عن الوحدة المعتبرة ومن ثم فإن العناصر التي تشترط الحضور والوظيفة أو المعنى لهذه الوحدة تنتسب إلى سياق ملازم[2]، فالتفاعل القائم بين العناصر اللغوية ينتج من خلال الحضور والشكل والوظيفة.

[1]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب، المصدر السابق، الصفحة 31.

[2]- ينظر: عبد الجليل مرتاض، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، دار هومة، الجزائر، 2010، الصفحة 06.

## الفصل الثاني : امتدادات البلاغة من خلال أفق الجاحظ

1- نبذة عن شخصية الجاحظ

2- المقام عند الجاحظ

3- نظرية الدلالات عند الجاحظ

4- المقام في الفكر البلاغي

**الفصل الثاني:**

**1-نبذة عن شخصية الجاحظ:**

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي الشهير بالجاحظ[1]،فقد لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه ونتوئهما، كما أن تاريخ ولادته ووفاته لا يخلوان من الاضطراب على أن المتفق عليه أنه ولد عام (159 هـ-775م) ومات عام (255هـ-868م)أي أنه عاش 96 سنة .

ولد الجاحظ ونشأ بالبصرة، حيث قضى أكثر عمره[2]، وهي آنذاك مهد العلم ومنتدى الأدب وكان تعلقه بها شديدا، وفي أجواء هذه المدينة نشأ الجاحظ مكافحا في بداية حياته يرتزق من بيع الخبز والسمك قرب سوق المربد،فكان دائم التردد على الكتاب كثير المخالطة وكان عصاميا، فكان للبيئة الفكرية التي شهدها عصره الدور الكبير في تنميته فعصره شهد أزهر وأجمل الأيام العربية ونضجت فيه العلوم العربية والإسلامية[3].

لقد عاش الجاحظ في العصر العباسي الأول، وهو عصر استوعب تراث العصر القديم فقد ازدادت جذور التواصل في هذا العصر بين هذا التراث وبين الثقافة الإسلامية عن طريق تزاوج بين العرب وغيرهم و السفر والترجمة وكان لنصيب الفرس الحظ الأوفر من هذا التواصل من أي شعب آخر[4] .

فأشار الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ومن بعده بن عساكر في تاريخ دمشق إلى أن الجاحظ ينتسب إلى قبيلة مضرية من كنانة ضاربة في جهات مكة ثم يعلنان دون أي تحفظ أنه إما كناني قح من صلبهم أو مولى لهذه القبيلة وهذا ما ذكره الدكتور شارل بيلا مواصلا مناقشة أصل الجاحظ إلى أن يصل الى أنه ليس هنالك من ينفي بأن الجاحظ من أصول عربية ويستثنى الذي أبى التصديق ويجمع البراهين على نسب الجاحظ العربي[5].

---

[1]-خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، الجزء الخامس، الصفحة74.

[2]-ينظر: شال بلا، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة إبراهيم الكيلاني، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،الطبعة الأولى،1985 ، الصفحة 12-25 .

[3]-ينظر: عويضة كامل محمد، الجاحظ الأديب الفيلسوف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1993 الصفحة06

[4] -ينظر: عبد الحكيم حسان، الأدب المقارن والتراث الإسلامي، مكتبة الأدب، القاهرة، 1998، الصفحة 23.

[5] -ينظر: شارل بيلا، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، مرجع سابق، الصفحة 96.

فالعهد البصري هو العهد الذي استقبل فيه الجاحظ الحياة والعوامل والأسباب المختلفة التي هيأت شخصيته، فهو عهد التحصيل عن العهد البغدادي، العهد الذي أخذ فيه مكانة في العلم والأدب وأخذت ملابسات الحياة فيه تستدر انتاجه وتبرز مظاهر شخصيته فهو عهد الإنتاج .

**2-مفهوم البيان والتبيين عند الجاحظ:**

**2-1.مفهوم البيان:**

عرف الجاحظ البيان تعريفا عاما فقال:«إنه اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يغضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما، ومن أي جنس كان الدليل ذلك البيان»[1] فالبيان في هذا التعريف جاء عاما القصد منه الفهم والإفهام ويستدل على ذلك بقوله تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[2] سورة ابراهيم آية 06 فكل رسول أرسل إلى قومه بلغة من أجل أن يفهمهم ما أوحي وأن يفهموا عنه، فهذا فيه وجه من أوجه البيان ومدار الأمر والغاية التي يجري إليها القارئ والسامع إنما هو الفهم والإفهام، وفي معرض آخر تحدث الجاحظ عن قضية أخرى هي قضية الإيجاز والإطالة كانت محل نزاع بينه وبين خصومه، فالشعوبية حسبما يرويه الجاحظ التي كانت تجعل البلاغة حكرا على العجم وتتهم العرب بالعجز فكانت تروج أخبارا عن بعض كبار الشعراء واتهامهم بالإيجاز والتقصير مثل الكميت والعجاج والهدف من ذلك هو حث العرب على الإحلال[3].

ويأتي البيان أيضا بمعنى البرهان ومن خلال ما سبق يمكننا القول بأن الجاحظ اشترط للبيان شرطين أساسيين كما بينهما محمد صغير بناني في كتابه النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية :

1-إدراك الحسن والروعة مع ملازمة الواقع والحقيقة دون الاعتماد على المراء لأن غاية البيان هي الفهم والإفهام دون استخدام أي صعوبة في توصيل المعنى للسامع .

2-التأكيد على الصدق والإخبار عن الحقيقة وإحراز مجانسة لفظية في البيان كما أطلق

[1] -الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزء الأول ، الصفحة 76

[2] -سورة إبراهيم ، الآية 06

[3] -محمد صغير بناني،النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، مرجع سابق، الصفحة 190 .

الجاحظ لفظ المنطق كمرادف للبيان،وهو يعنى الإفصاح عما في الضمير من المعاني بواسطة الألفاظ وغيرها من الدلالات .

## 2-2.مفهوم التبيين:

إن مفهوم التبيين يقترب من مفهوم البيان إلا أنه يختلف عنه بتضعيف عين الفعل أو المصدر فينتقل المعنى من البيان إلى حسن البيان وبالتالي نجد في مفهوم التبيين اهتمام المتكلم بالمخاطب وتوجيه الكلام إليه، فالغاية من تضعيف العين كثيرا ما يؤتى بها للتعدية فهناك فرق بين : بين وبي...ن، كما أنه يأتي للتكثير وهكذا يكون مرادفا للبيان مع ميزة تميزه عنه هي التأكيد أو التوسيع في المعنى، إلا أن حسن البيان يقتضي إعداد خاصا وتعليما ورياضة فإنه أكثر ما يلاحظ عند المعلمين [1] وإذا أردنا أن ندرك جيدا مفهوم التبيين علينا أن ندرسه من خلال مفهومين آخرين هما الفهم والإفهام، هنا يقول الجاحظ:«بعد أن ذكر أن مدار الأمر على البيان والتبيين والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم»[2]،فمن خلال ما قاله الجاحظ عن البيان فقد كان على شكل الفهم والتبيين على شكل الإفهام فمدار البيان عند الجاحظ يكون بالنسبة لكل من المتكلم والسامع ينطلق فيه من اللفظ نحو المعنى هو الغاية التي يسمو إليها كل من المتكلم والسامع.[3]

أما فيما يخص التبيين فلا يكون إلا من المتكلم ويتجلى في صورة لفظ (تلفظ) فمع اللفظ تكون عملية النطق وما يتتبع هذا من حركات اللسان والشفتين[4]، فالتلفظ لا يكون إلا من المتكلم وبالتالي صدور الخطاب أو الرسالة التي يرسلها المتكلم إل... المخاطب واللفظ هو الذي ينشئ خطاب المتكلم وبلاغة السامع[5]

[1] -ينظر: محمد صغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية، مرجع سابق، الصفحة 207

[2] -الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 11-12 .

[3] -ينظر: محمد صغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية، مرجع سابق، الصفحة 213 .

[4] -ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة اللفظ، مكتبة الأنجلو المصرية، 1997، الصفحة38 .

[5] -ينظر: محمد صغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية، مرجع سابق، الصفحة 214 .

لقد استحق الجاحظ منزلة المؤسس الفعلي للبلاغة لأنه تمكن بمنهجية ناضجة من تمثل آراء السابقين وتجريدها وصهرها ضمن نظرية متماسكة هي نظرية المقامات التي تمثل مسلكا من أبرز المسالك إلى اكتشاف خصائص نظريته الأدبية والجمالية بشكل عام[1].

ولعل القرآن الكريم هو المصدر الأصيل الذي اغترف منه الجاحظ هذه الفكرة، فقد أورد الجاحظ في عدة مواضع من مؤلفه البيان والتبيين إشارات كثيرة تشيد بكلام الله باعتباره أبين كلام يحتل الصدارة الحقيقية من حيث كل المناحي و الأوجه يقول في هذا الصدد: وأبين الكلام كلام الله هو الذي مدح التبيين وأهل التفصيل، فالقرآن يبين المعنى ويفصل المجمل وأنزل عليه قرآن عربيا، كما قال الله تعالى:﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾سورة الشعراء الآية 195.

ومن بين الإشارات الدالة على على اغتراف وتأثر الجاحظ بالقرآن الكريم وجعله المصدر الحقيقي لولادة فكره وخاصة في نظرية المقامات، تلك العبارات التي نلفيها متنافرة في طيات مؤلفه البيان والتبيين، يقول مثلا وهو يتحدث عن الشروط التي ينبغي توافرها لتحقيق الفصاحة في الكلام فقد يستحق الناس ألفاظ ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون الشغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة والقرآن إذا ذكر الأبصار لم يقل الإسماع وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأراضي، فلا يجمع الأرض أرضين ولا السمع أسماعا والجاري على أفواه العامة غير ذلك لا ينتقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال[2].

وفي هذا المقام التصوري فالشيء الذي يذهب معنى اللفظ وفصاحته هو استخدام اللفظ في غير موقعه وهو على حسب الجاحظ أغلب ما يتداول على أفواه العامة الذي يجهلون الكثير من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم .

[1] -أحمد الوردني، قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 7هـ-13هـ ، الصفحة 765 .

[2] -ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة60.

كما يقول موضع آخر في كتابه الحيوان" ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والإعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام فالعمل الصائب اتباع آثار العلماء والاحتداء على أمثلة القدماء والأخذ بما قال به الجماعة"[1] .

وعليه فان الإبانة متعلقة تعلقا شديدا بمقتضيات المقام وذلك بحكم أن تغير المخاطبين يؤدي إلى تغير شكل الخطاب، فمثلا معاني القرآن الكريم يدركها ويفهمها العربي بمجرد لمحها عكس الإسرائيلي لا يمكن لهم فهم واستيعاب معانيه إلا عن طريق التحليل والتبسيط.

**3/المقام عند الجاحظ:**

لقد أشار البلاغيين إلى أن الألفاظ تتناهى والمعاني لا تتناهى حيث ذكر الجاحظ:«أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة»[2]، وهنا يتبين لنا أن المعاني مبسوطة وممتدة لا نهاية لها وأما أسماء المعاني محدودة وإذا كانت«المعاني تفضل الأسماء والحاجات تجوز مقادير السمات وتفوت ذرع العلامات»[3].

فلا بد من حصر الدوال اللفظية وغير اللفظية عن تلك المعاني غير المتناهية والفائتة على ذرع العلامات على حد تعبير الجاحظ الذي ذهب إلى أن أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة:«أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية أختها وهي التي تكشف عن أعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير وعن أجناسها وأقدارها وعن خاصها وعامها وعن طبقاتها في السار والضار وعما يكون منها لغوا بهرجا وساقطا مطرحا»[4].

---

[1] – لجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الاسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، 1969، الجزء الاول، الصفحة 94.

[2] – الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 76

[3] – الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، الطبعة السابعة، الصفحة 201 .

[4] – الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 76.

وإذا أمكن لنا بنصبة ما نحن فيه أن نغض الطرف عن تناول الخط والعقدة (الحساب باليد) فإنه لابد من تفصيل القول في الإشارة والنصبة، لأهميتها بالنسبة لما نحن فيه، إذا يمكن أن تعدا من معينات اللفظ على الوجه الذي يفهم من حديث الجاحظ عنهما، حيث الإشارة إما أن تكون«باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان(لا لفظ) وبالثوب وبالسيف وقد يتهدد رافع السيف والسوط فيكون ذلك زاجرا، مانعا رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا»[1]،معنى ذلك أن الحركة دالة ودلالتها تهمنا حين تصاحب اللفظ على النحو الذي يقول الجاحظ:«والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تعني عن الخط»[2]، ثم يذكر الجاحظ عددا من الشواهد على إعناء الإشارة عن اللفظ من مثل قول الشاعر[3]:

أَشَارَتْ بِطَرْفَ العَيْن خِيفَةَ أَهْلَهَا إِشارَةَ مِنْ عُورِ وَلَمْ تَتَكَلم

فَأَيْقَنَتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبَا وأَهْلاً وَسَهْلاً بِالْحَبِيْبَ الْمُتَيَّم

وقول الآخر[4]:

العَيْنُ تُبدي الَّذِيَ في نفس صَاحِبَهَا مِنَ المَحَبَةِ أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَا

والعَيْنُ تَنْطِقُ والأفواه صَامِتَةُ حَتى تَرَى مِنْ ضَمِيْرَ القَلَبَ تَبَيَانَا

وتبدو قيمة الإشارة في البيان في قول الجاحظ:«وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذي يكون من الدَّل والشَّكل، والتَّقتلِ والتثني واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الأمور»[5].

فهيئة المتكلم من خلال حركات جسمه يديه وعينيه، وحركة جسمه غنجا وثقتلا وتثنيا إذا صاحب فالتلفظ كانت جزءا منه أو تماما له وهيئة المتكلم عنصر من عناصر سياق الموقف على النحو الذي ذكرته في الحديث عن السياق عند اللغويين وبخاصة حديث ابن جني عن الازدراء وتقطيب الحاجب...

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين،مصدر سابق، الصفحة 77.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين،مصدر سابق، الصفحة 78.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين،مصدر سابق، الصفحة 79.

[4]- الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 79.

[5]-الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر السابق، الصفحة 81.

أما النصبة فهي:«الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وفي كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاغن وزائد و ناقص، فالدلالة التي في الموات الجوامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة والعجماء مُعرِبَة من جهة البرهان ولذلك قال الأول سَلِ الأرض فقل: من شَق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تجيك حِواراً أجابتك اعتبارا»، فالنصبة(الحال) هي هيئات الأشياء والأشخاص بماهي عليه وبما تشيره من دلالة الاعتبار بالكيفية التي هي عليها أما الحال الشائع عند البلاغيين فيرد في تعريفهم لبلاغة الكلام يقول السعد التفتازاني هي مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته والحال هو الأمر الداعي للمتكلم أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما وهو مقتضى الحال، مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم والتأكيد مقتضى الحال وقولك إن زايدا في الدار مؤكدا بأن كلام مطابق لمقتضى الحال[1]»، ويمكن ترسيم مكونات النص السابق بالشكل التالي:

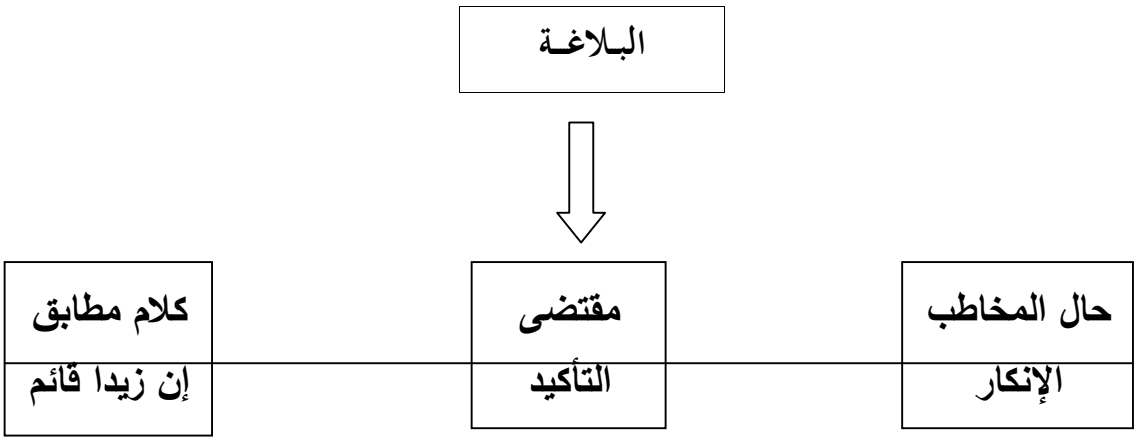


وهذا النص من أوله حتى حديثه عن خطاب الذكي والغبي، يثير تساؤلا معينا ينبع من الإشارة السابقة لمفهوم الحال حين قال البلاغيون: إن الحال (الإنكار) مقتضى (للتأكيد) وعلى هذا يكون المراد بلفظ المقام شيئا مايساوي المقتضى، حيث الأول (الإنكار) هيئة وحال في المخاطب والتأكيد مفهوم يقتضيه الإنكار ويعبر عنه باللفظ فيتم التطابق بين اللفظ والمقتضى ومن ثم الحال والتنكير والتعريف... مقتضيات أحوال وليست أحوالا وإنما الحال التعيين وعدمه... والتنكير والتعريف مفهوم اللفظ، فيعبر

[1]- السيوطي عبد الرحمن، شروح التلخيص، طبع عيسى البابي الحلبي، مصر القاهرة، 1937، الصفحة 122،123.

بالثاني عن الأول على وجه المطابقة، قال المغربي صاحب مواهب الفتاح: ويختلفان الحال والمقام في الاستعمال فالمقام يستعمل مضافا للمقتضيات فيقام مقام التأكيد مثلا، الحال يستعمل كثيرا مضافا للمقتضى فيقال حال الإنكار[1].

وقد كان المغربي يشير مثل ذلك إلى فرق مابين الحال والمقام ذلكم أن الفرق بينهما بالوهم «فإن توهم في سبب ورود الكلام بخصوصية ما كونه زمانا لذلك الكلام سمي حالا لتحول الزمان بسرعة وإذا توهم فيه كونه محلا له سمي مقاما[2]» لقد ساوى الخطيب القزويني بين المقام والحال وإشارته إلى خطاب الذكي وخطاب الغبي، حيث يشرح البلاغيون الخطاب بوصفه أيضا مقاما أو حالا، قال السعد:«وكذا خطاب الذكي مع خطاب الغبي فإن مقام الأول بياين مقام الثاني فأن الذكي يناسبه من الاعتبارات اللطيفة والمعاني الدقيقة ما لم يناسب الغبي»[3].

فنحن إذن بين ثلاثة مصطلحات (الحال، المقام، الخطاب) وكلها مستعملة في النصوص السابقة بمعنى واحد، برغم مايثيره ثالثتها من مفهوم لغوي نابع من دلالته المعجمية كما يثير النص أيضا إلى مقامات الكلمات بقوله:«ولكل كلمة مع صاحبتها مقام».

قال الجاحظ:«ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات» فيه غير قليل من الإبهام[4]، ورغم الإبهام الشديد في هذا النص نتيجة تعدد الأقدار بين المعاني والكلام والمستمعين والحالات والمقامات ونتيجة تعدد مدلولي المقام والحال فلم يعودا مترادفين أقول برغم ذلك كله فإن النص إجمالا يدل على مراعاة المقام في الكلام والتناسب بينهما تناسبا بينهما يستند فيه الثاني إلى الأول، ويبدو أن المراد بالمقام في النصين السابقين هو الحال الاجتماعية للمخاطبين(المستمعين) لأن الجاحظ بعد نصه السابق صرف المناسبة بين الكلام والمقام إلى الألفاظ التي يستخدمها المتكلم

[1]- السيوطي، شرح التلخيص، المصدر السابق، الصفحة 126.

[2]- السيوطي، شرح التلخيص، المصدر السابق، الصفحة 126.

[3]- السيوطي، شرح التلخيص، المصدر السابق، 129.

[4]- الجاحظ، البيان والتبيين، المصدر السابق، الصفحة 138.

ومناسبتها للمستمعين حيث قال بشر:«إن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم طبقات[1]».

وهو الأمر الذي يؤكده الجاحظ بعد ذلك بقوله:« وأنا أقول: ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أتق ولا ألذ في الإسماع، ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الإعراب العقلاء الفصحاء والعلماء البلغاء وقد أصاب القوم في عامة ما وصفوا إلا أني أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني وقد يحتاج إلى السخف في بعض المواضع وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ والشريف الكريم من المعان كما أن النادرة الباردة جدا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدا وإنما الكرب الذي يختم على القلوب ويأخذ بالأنفاس النادرة الفاترة التي لاهي حارة والباردة وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط وإنما الشأن في الحارة جدا والبارد جدا»[2].

ويشير الجاحظ إلى عبارة(لكل مقام مقال) في قوله:«وأرى أن ألفظ بألفاظ المتكلمين مادمت خائضا في صناعة الكلام مع خواص أهل الكلام فإن ذلك أفهم لهم عني وأحق لمؤمنتهم على ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مشاكلا بينهما وبين تلك الصناعة وقبيح بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة أو في مخاطبة العوام والتجار أو في مخاطبة أهله وعبده وأمته أو في حديثه إذا تحدث أو خيره إذا أخير.

وكذلك فإنه من الخطأ أن يجلب ألفاظ الإعراب و ألفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل»[3].

ويلاحظ أن ما ذهب إليه الجاحظ من مراعاة المقام الذي فصلناه قد أشار إلى ابن المقفع بعو ليتواءم وما نفهمه من إطلاق لكل مقام مقال نقل الجاحظ عن ابن المقفع قوله:«إذا أعطيت كل مقام حقه

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، المصدر السابق، الصفحة 144.

[2] -الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 145.

[3]- الجاحظ، الحيوان، مصدر سابق، الصفحة 368،369.

وقمت بالذي يجب من سياسة ذالك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو....»[1].

وسياسة المقام كما تتضح من كلامه تتمثل في:

1-الإيجاز والإطناب بمراعاة عدم الإملال.

2-التفريق في الكلام استنادا إلى موضوعه:«كأنه يقول فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب[2].

أما حق الكلام فيتمثل بالنظر إلى المقامات في الترابط الذي يعبر عنه بقوله:«وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته[3] ويربطه بالمقام حين يقول:«حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فإن لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير إلى مغزاك وإلى العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزعت»[4].

والذي يقترب كثيرا من المقام أو السياق الاجتماعي ماتحدث عنه الجاحظ في كتابه البيان والتبيين في أثناء حديثه عن أنواع الدلالة يقول:وجميع أصناف الدلالات على المعاني

من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لاتنقص ولا تزيد أولها:اللفظ ثم العقد ثم الخط ثم الحال وتسمى نصبه والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات[5].

أما اللفظ فهو عنصر اللغوي في الكلام وأهميته لاتحتاج إلى تعليق والإشارة هي ما نص عليها المحدثون ضمن حركات الشخوص وإيماءاتهم وإشاراتهم لما لها من أهمية في إبراز المعنى، يقول الجاحظ: فأما الإشارة فباليد وبالرأس والعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف وقد يتهدد رافع السوط

[1] -ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 146.

[2] - الجاحظ، التبيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 166.

[3] - الجاحظ، التبيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 116.

[4] - الجاحظ، التبيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 116.

[5] - الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة، 55.

والسيف فيكون ذلك زاجرا راجعا ويكون وعيدا وتحذيرا والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ماتنوب عن اللفظ وتغني عن الخط[1].

ثم يقول وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة سيرها الناس من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب ألبته[2].

ففي هذا المقام التصوري يمكننا أن نفهم أن الإشارة مهمة للإيضاح والإفهام ولولاها لما تفاهم الناس ولما عرفوه.

لقد كان لهذا التصنيف الخاص بمسألة أصناف الدلالات على المعاني، ظلالاً تداولية بالدرجة الأولى إذ تلقي الدرس التداولي ينحو بآلياته وميكانيزماته في التحليل التداولي نحو تلك المساحة المهتمة بالاعتبارات غير اللغوية في العملية التخاطبية فضلا عن الاعتبارات اللغوية إذ ينتبه إلى مختلف الوسائط التعبيرية أو فلنقل ما يكون من اللغة وغير اللغة في أداء دور الإفهام، والتعبير عن المعنى المراد إيصاله[3]، ويمكننا هنا القول أن هذا التصنيف يأخذ نصب عينه الظروف والملابسات الطبيعية والثقافية والحضارية التي تحيط بالحقل الإنتاجي للعلامة وللتوضيح أكثر نبسط الآلات الخمس:

## 4- نظرية الدلالات عند الجاحظ :

### 1/اللفظ:

وردت دلالة اللفظ في تصنيف الجاحظ للدلالات أو في نظرية البيان على المفرد أو المركب دون الفصل بينهما جاء كلامه عليهما عاما وأكثر تجريدا، وهذا لم يخص بدلالة فحسب بل بأصناف الدلالات عموما كما أن الجاحظ كان من المهتمين بدلالة اللفظ، بالإضافة إلى صاحب البيان والتبيين أدرك أن الصوت آلة اللفظ فلولا الصوت لما ظهر اللفظ ولما سمعناه كما اهتدى إلى فكرة التقطيع ووظيفة الصوت في تحديد الوحدات الدالة وهو تصور يقترب من أندري مارتيني لوظيفة الصوت في عملية

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 57.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة65.

[3]- نواري سعود أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، الصفحة39 .

التقطيع والتأليف يقول الجاحظ:"الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا وكلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت و لا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف[1]

لذلك كانت اللغة عاجزة عن توفير اسم لكل معنى وعليه كان الاستعمال المجازي للألفاظ أمرا ضروريا.

لقد أدرك الجاحظ أن أداة التعبير عن الضمير هي اللسان إذ يشبهه في وظيفته بالترجمان الذي يحول المعاني وينقلها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ولذلك كان اللسان أداة يظهر بها حسن البيان وظاهر يخبر عن الضمير وشاهد ينبئك عن غائب...[2]من بين السمات التي دعا إليها الجاحظ هي العلاقة الرابطة بين اللفظ والمعنى (الدال والمدلول) فلا بد أن يكون هناك تناسب وتناسق بينهما، حيث يكون اختيار اللفظ مصيبا للمعنى وعلى قدره[3]، لقد توصل الجاحظ بفضل عقله المتميز إلى ما يميز الإنسان عن غيره بما خصه الله من استطاعة وحسن البيان حتى غدا الإنسان مرتبطا ارتباطا كليا بالمنطق والإبانة وبمعنى آخر أيضا اللفظ هو تلك العلامة اللغوية التي تتم عن طريق الصوت، وهذه العلامة اللغوية تكون محل تواضع واصطلاح بين أبناء المجتمع اللغوي الواحد، وتتكون هذه الأخيرة من دال ومدلول أي من صورة ذهنية وصورة سمعية، لقد تبين لنا من خلال الملاحظات التي سبق ذكرها ما يقصده الجاحظ باللفظ وما يمكن إضافته هنا هو حثه على بعض خصائص اللفظ كقوله أنه يستعمل للقريب الحاضر والشاهد الراهن[4].

وبما أن اللفظ لايظهر الا من خلال الصوت فإن الجاحظ يطرق الموضوع بإسهاب وبكيفية علمية لكن ماتجدر الإشارة إليه هنا هو أنه لخص في الحيوان قانونا صوتيا، خليقا بأن نتدبره حتى في عصرنا هذا وهو قوله:«وفهمك لمعاني كلام الناس ينقطع قبل انقطاع الصوت وأبعد فهمك لصوت صاحبك ومعاملك والمعاون لك ماكان صياحا صرفا وصوتا مصمتا ونداء خالصا ولا يكون ذلك إلا وهو بعيد من المفاهمة

[1] -ينظر: أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، ترجمة سعدي الزبير، دار الآفاق، الصفحة 18-19.

[2] -الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الجزء الثاني، الصفحة75.

[3] -ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين ، مصدر سابق، الصفحة97.

[4] -الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الجزء الأول، الصفحة 80.

وعطل من الدلالة فجعل اللفظ لاقرب الحاجات والصوت لانفس من ذلك قليلا والكتاب للنازح من الحاجات[1]، وخلاصته أن الصوت المستعمل في التعبير يوجد في حالة تناسب عكسي( inversment proportionnel ) مع المعنى فكلما ازداد التجانس الصوتي نقص التقطيع فنقص المعنى وكلما نقص التجانس كثر التقطيع فكثر المعنى .

فالمعاني تحتل منزلة عند الجاحظ في نظامه الفلسفي ويمكن تصور هذه المكانة من خلال القاعدة المشهورة بحيث يقول "إن العالم الصغير سليل العالم و الكبير[2]" فالمعاني في هذا النظام تمثل العالم الكبير أو العالم اللانهائي بينما الألفاظ تمثل العالم الصغير أو العالم النهائي ففي هذا الرمزية وجد الجاحظ شبه كبيرا بين اللفظ والإنسان نفسه لان هذا الأخير أيضا محدود الجسم محدود القوى ثم أنه العالم الذي لفظه العالم الكبير.

وقد يتطور هذا الصنف الدلالي والتواصلي عند الجاحظ من طابعه الشفهي الى طابع آخر قوامه الكتابة.

**2-الخط:**

ويحتل هذا الأخير المرتبة الرابعة في تصنيف الجاحظ للآلات البيانية ويتميز هذا الصنف بقدرته على تجاوز الزمان وهو قسم جد مهم نحتاج إليه في ظروف قد يتعذر علينا استعمال اللفظ أو، فما قلناه يؤكده لنا أبو عثمان في كلام موجز من البيان والتبيين"قالوا القلم أحد اللسانيين كما قالوا: قلة العيال أحد اليسارين: وقالوا القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا وقال عبد الرحمن ابن كيسان: استعمال القلم أجدر أن يحض الذهن على تصحيح الكتاب، من استعمال اللسان على تصحيح الكلام.

وقالوا: اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم مطلق في الشاهد والغائب وهو للغابر الخائن[3]، مثله للقائم الراهن والكتاب يقرأ بكل مكان، ويدرس في زمان، واللسان لايعدوا سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره

[1] -الجاحظ، الحيوان، مصدر سابق، الجزء الأول، الصفحة 48.

[2] -الجاحظ، الحيوان، مصدر سابق، الصفحة 221.

[3] -ينظر: محمد صغير بيناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ،الصفحة80.

كما أن للقرآن الكريم أعطى للحظ مرتبته وقيمته اللائقة به قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1] سورة العلق آية 3-5 .

هذه الآيات هي أول مانزل من القرآن الكريم وفيها أمر رباني يأمر بالقراءة والتعلم فبالقلم يتعلم الإنسان وبه يستطيع أن يقيد ماشاء من المعارف والعلوم قال عز وجل﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) ﴾[2]. فالمولى تبارك وتعالى يقسم بالقلم وبما يخط بالقلم (الخط)، فالخط أو الكتابة إذن أحد أنواع الدلالات اللسانية وظيفته تسجيل الكلام والمحافظة عليه لوقايته من النسيان[3] لأنه لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط ولدخل على الأموال الخلل الكبير وعلى خزائن الناس الضرر الشديد[4] ولذلك جعل الإنسان الخط دليلا على ما غاب من حوائجه عنه وسببا موصلا بينه وبين أنواعه وجعله خازنا لما لا يأمن من نسيانه مما قد أحصاه وحفظه واتقته وجمعه وتكلف الإحاطة به [5].

وعليه يؤكد أبو عثمان عرفية دلالة الخط لكنه لم يخصها لوحدها بهذا الخاصية فهناك دلالة الصوت والإشارة جعلهما دلالتين عرفيتين تكتسبان عن طريق التكرار والتعلم في بعض الأحيان.

**3- الإشارة:**

أما إذا انتقلنا إلى الإشارة فنجد الجاحظ يفضل فيها القول باعتبارها صنفا مهما من أصناف الد ات على المعاني وهو يقصد بها تلك الإشارات الجسدية أو الإيماءات الدالة، وقد تكون باليد والحاجب والمنكب، و وفق هذا الطرح تعدو الإشارة آلة بيانية تتماهى بل وتتماثل مع ماأقرته التنظيرات اللغوية الحديثة والمعاصرة، حيث حضيت الإشارة ببحوث ومقاربات كثيرة لا تعدو ولا تحصى ولاسيما في ذلك المجال المعنى بالتواصل، فإن ضمان العملية التواصلية الفعالة والناجحة مرهون بتوظيف وسائل رمزية(كالإشارة)

[1] - سورة العلق، الآية 3،4،5

[2] - سورة القلم، الآية01.

[3] - الجاحظ، الحيوان، المصدر نفسه، الصفحة 62

[4] - الجاحظ، الحيوان، المصدر نفسه، الصفحة 71.

[5] - الجاحظ، الحيوان، المصدر نقسه، الصفحة 46.

ن الإشارة تعد من أدوات البيان التي يلجأ المتكلم البليغ لاستخدامها والاستعانة بها لزيادة الدلالة على معنى لايستطيع اللفظ التعبير عنه بل كثيرا مايستعملها وحدها بمعزل عن اللفظ ولكنها في أغلب الأحيان تنصهر مع اللفظ حتى تصبح وحدة كاملة غير قابلة للانفصال، وبين لنا الجاحظ في كتابه البيان طبيعة الإشارة ووظيفتها في تأدية الكلام ويؤيد رأيه ذلك بأن الإشارة ذات صورة معروفة وحلية موصوفة على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها وأنها تستعمل في أمور يسترها بعض الناس من بعض ويخفونها من الجليس فهي لخاص الخاص ومن هنا نستنتج من جميع الملاحظات السابقة في باب الإشارة أن هذه الأداة في نظره تختلف عن اللفظ والخط فهي لا تعتمد على الصوت ولا على الحبر وإنما هي عبارة عن حركة مختصرة كرفع السيف وتحريك الحاجبين، تجعل علامة على معنى واحد أو معان كثيرة في الوقت نفسه.

## 4-النصبة:

عند الجاحظ فإن النصبة هي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد ذلك ظاهرة في خلق السموات والأرض بمعنى أن النصبة تؤدي دور الكلام في الدلالة على المقصود وتلمس الأمور الخفية في النفس الإنسانية وهي هيئة دالة على نفسها من غير واسطة والتي يتواصل الفكر إليها من خلال التفكير والتدبر في خلق الله يلفي الباحث المختص في هذا الصدد "النصب" تتماثل مع مفهوم "الإنساق الدلالية الطبيعية" المعتمدة في الدراسات التواصلية المعاصرة والمقصودة بهذا المفهوم "تلك الإنساق التي توجد في حصن الطبيعة ومن سمات هذه الأنساق أنها غير مؤسسية فالإنسان هو الذي وظفها داخل مجال الدلائل وأسند إليها دلالات معنية[1] انتابت ويمكننا القول بأن هذا التخريج البلاغي الجاحظي المتعلق بالإنصاف الدلالية هو مرآة عاكسة للوعي العميق والفطنة العالية التي انتابت فكر الجاحظ وذهنيته في معرفة أهمية السياق التواصلي والعوامل التي ينهض عليها لدرجة أنه حاز على قصب السبق(مقارنةمع الدارسين المعاصرين) في جعل السياق معتمدا على اللفظ والإشارة والصوت والحال وهو ماعرف بالسياق اللغوي وغير اللغوي[2] النصبة تصور قلب اللسانيات لحديثة رأسا على عقب ، فالمعنى

[1] -جميل حمداوي المعز، التواصل اللفظي وغير اللفظي www.pulpit.alwatane voice.com

[2] - نادية رمضان البخار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة السابعة، مصر، 2004، الصفحة205.

حسب رأي الجاحظ ليس الوجه الخفي للدال و لكن مدلول بغير ذلك أو مدلول و دال سلبي ، فهذا المفهوم الذي جاء به الجاحظ ينطلق أساسا من فكرة مهمة في التصور العقدي الديني ألا وهي إثبات قدرة وعظمة ووحدانية الله سبحانه وتعالى فهو متأثر تأثرا شديدا بالدين والنصبة إحدى أهم الدلالات التي لها القدرة على إثبات قدرة الله عز وجل.

فالنصبة مهما تعددت آياتها وكثرت فإنها تتسم بصفة أساسية ومهمة وعلى مبدأ أساسين فالجاحظ يرى أن الشيء متى دل على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا وأشار إليه وإن كان ساكتا[1] فقد جعل أبو عثمان العالم وما فيه من علامات ورموز وشواهد سواء كانت هذه العوالم ناطقة أو صامتة أو ساكنة فإنها تدل على جملة من المعاني فهي لم توجد اعتباطا بل كونها حاملة رسالة لإصحاب العقول.

"فموضوع الجسم ونصبته دليل على ما فيه و داعية إليه ومنبهة عليه فالجماد الأبكم الأخرس من هذا الوجه قد شارك في بناء الإنسان الحي الناطق، فمن جعل البيان خمسة أقسام فقد ذهب أيضا مذهبا له جواز في اللغة وشاهد في العقل، فهذا أحد قسمي الحكمة وأحد معنيي ما استخزنها الله تعالى من الوديعة ونفهم من هنا أن النصبة هي الوضعية التي تكون عليها الأجسام والتي بفضلها يتوصل الإنسان إلى استخراج المعنى الذي يكمن فيها فهذه الوضعية أو هذه الحال للأجسام هي التي تقوم مقام أدوات التعبير الأخرى كاللفظ والإشارة وغيرهما في كونها ونستخلص من هذا أن النصبة ليست في نهاية الأمر سوى المعنى و هي إن كانت نوع من الدلالات إلا أنها تختلف عن غيرها في كونها لا تتركب من وجهين دال ومدلول فهي معنى بدون لفظ وجسم بدون روح.

### 5-دلالة العقد:

العقد هو القسم الثالث من أقسام الدلالات على المعاني يأتي ترتيبه بعد الإشارة ومفهومه يرتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة الإسلامية السمحاء التي تدعو الإنسان إلى التأمل في هذا الكون العجيب الذي صنعه الله عز وجل وفق نظام دقيق وعجيب يقوم على قوانين تدل دلالة قاطعة على حسن صنعته وعظمته وقوته التي يسير على إثرها هذا الكون بمختلف مستوياته ومكوناته من أبسط الأشياء إلى

[1] -الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 82.

أعقدها ومن أصغرها إلى أكبرها قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[1] سورة آل عمران آية 190 .فكلما حاول الإنسان فهم نظام هذا الكون استطاع بذلك اكتشاف أسراره وقوانينه التي يخضع لها وأدرك دقة الحساب الذي يقوم عليه، يقول الجاحظ:"وأما القول في العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط، فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به فالعقد عند الجاحظ هو الحساب والعد بالأصابع في أبسط الأحوال[2]، ومن بين أهم الوسائل التي يعتمدها الإنسان في الدلالة العقد العقل لأن العد والحساب مستوى من مستويات التجريد فدلالته تختلف عن دلالة اللفظ والإشارة ومادام العد شيئا مجردا لاعتماده على العقل فهو لا يختلف عنه ولذلك أباح الجاحظ تعمد الالتباس باختيار مفهوم العقد وفي ذلك يقول الجاحظ: "وليس بين الرسوم التي تكون في الحافر كله والخف والظلف كله و بين الرقوم فرق ولا بين العقود و الرقوم فرق ولا بين الرقوم والخطوط وكلها فرق وكلها خطوط وكلها كتاب أو معنى الخط والكتاب ولا بين الحروف المجموعة المصورة من الصوت المقطع في الهواء ومن الحروف المجموعة من السواد في القرطاس فرق واللسان يضع جوية الفم وفي خارجه وفي لهاته وباطن أسنانه مثلما يضع القلم في المداد والليقة والهواء والقرطاس وكلها صور وعلامات وخلق مواثل ودلالات"[3]، ففي نص الجاحظ نلاحظ أن كل أصناف الدلالات وجميع فروعها ما هي إلا خلق مواثل ودلالات فهو يرى مهما كانت نوعية الدلالة إلا وكانت لمعنى من المعاني، كما بينا أن كل من دلالة اللفظ ودلالة الإشارة والخط هي دلالات عرفية تواضعية حيث قام الجاحظ بتفريغها إلى ثلاث دلالات ثم أضاف إليها دلالة العقد والنصبة كقسمين آخرين أما فيما يخص ترتيب هذه الأنواع الخمسة فإنه اعتمد على مبدأ جد مهم وهو مبدأ ظهور الدال أو غيابه فمبدأها بدلالة اللفظ والإشارة والخط ثم جعل دلالة النصبة آخر الدلالات باعتبارها تمثل دلالة العدم أو الغائب وجعل دلالة العقد دلالة وسطا كونها دلالة بين الظهور والغياب.

[1] -سورة آل عمران، الآية 190.

[2] -ينظر: محمد صغير بناني، المدارس اللسانية في التراث، مرجع سابق، الصفحة 19.

[3] -الجاحظ، الحيوان، مصدر سابق، الصفحة48-49.

**المقام في الفكر البلاغة :**

لقد وضح تمام الوضوح موقف البلاغيين و الأدباء و النقاد و العرب القدامى من السياق فيما قدموه من دراسات تطبيقية لضروب الكلام و نصوصه الإبداعية و المتنوعة ، و إمكانات اللغة و قدراتها على التعبير ، غير ذلك مما تناوله البلاغيون و الأدباء و النقاد ، باستفاضة و عمق دليل على وعيهم بالسياق اللغوي و دوره في بيان الدلالة [1]، فالمبدع عند تكوينه جملة لغوية يقوم بعمليتين ، إختيار ثم تنظيم المختار و ذلك بما يتناسب مع النسق الذي يدور فيه الكلام و هذا ما أدركه البلاغيون في عبارتهم المشهورة لكل مقام مقال[2] ، هذه العبارة التي تدل على تميزهم بين شقي المقام و هذا التميز ضروري في تحليل المعنى .[3]

ومن ثم التفتوا الى ربط الصياغة بالسياق واصبح مقياس الكلام حسنا مقبولا مرتبطا بمناسبته لمقتضى الحال ويرتبط ذلك بالبعدين ، الزماني والمكاني للكلام [4]، ومنه رأينا عناية البلاغين بسياق الحال او ما سموه بالمقام .

وقد عبر البلاغيون عن هذا المبدأ في مجال البلاغة العربية،وفق عبارتين شهيرتين هما : " لكل مقام مقال" ، و "وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال " ، و المقصود بالمقام في العبارة الأولى هو جملة ن الخارجية المحيطة بالنص ، بما في ذلك السامع و المتكلم نفسه ، الكلام المرتبط بهما الصادر عنهما ، مرهون الدواعي بزمانه ، موصول بأسباب بمكانه[5] أما المقال فيقصد به النص اللغوي أو الحدث الكلامي و بالتالي فإن عبارة لكل مقام مقال تحمل معنى ضرورة التلاؤم بين نوع الحديث وملابساته و نوع اللفظ و ما يرمي إليه [6] أما عبارة وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال فتحيل إلى ضرورة مطابقة الكلام لما يقتضي الموضوع أو الموقف الذي يقال فيه ، و فيما ينبغي للخطيب أن يراعي أحوال السامعين فيه ، و ذلك ان الحال أمر يقتضي تاكيد الحكم و التأكيد مقتضى الحال و لهذا يعتبر قول إن

---

[1] – ادي نهر ، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، جدار الكتاب العالمي ، عالم الكتب الحديثة ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2008 ، ص 227/226 .

[2] – ينظر : مختار عطية ، التقديم و التأخير و مباحث التراكيب بين البلاغة و الأسلوبية ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، مصر ، 2005، الصفحة 135

[3] – طاهر سليمان حمودة ، دراسة المعنى عند الاصوليين ، الدار الجامعية ، الاسكندرية ،مصر ، الصفحة 222.

[4] – مختار عطية ، التقديم و التأخير و مباحث التراكيب بين البلاغة و الاسلوبية ، مرجع سابق ، الصفحة 135 .

[5] – ينظر :محمد بدري عبد الجليل ، تصور المقام في البلاغة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2003 ، الصفحة 17 .

[6] – محمد بدري عبد الجليل تصور المقام في البلاغة العربية ، مرجع سابق ، الصفحة 07 .

زيدا في الدار مؤكدا بأن الكلام مطابق لمقتضى الحال [1] وعليه فإن مقتضى الحال هو الكلام الكلي المكيف بكيفية مخصوصة [2] .

ومن خلال هذا الفهم الشامل لفكرتي عبارتي لكل مقام مقال و وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال أعتبر النص ( المقال ) منطوقا كان أم مكتوبا غير منبت عن ظروفه الخارجية المحيطة به ( المقام ) و بحكم هذا الترابط بين المقال و المقام ترابط جدليا أصبح الحكم للكلام أو عليه لا يتعلق بشيء في ذاته و إنما تجاوزه إلى اعتبارات خارجة عن نطاقه أو كيانه اللغوي ، كما أصبحت العلاقة بينهما ايضا تسير في اتجاهين علة نحو مستمر ، فكما أن المقال دليل على المقام فكذلك تعد المعرفة بالمقام جوهرية في فهم المقال و تظل العلاقة الجدلية قائمة بينهما طوال عملية الممارسة اللغوية [3] .

وبتصفح الكتب البلاغية ، بغرض الكشف عن جوهر هذه الأفكار التي طرح البلاغيون نجد أن كل مبحث من مباحث علم المعاني قد تكفل بذلك إذ عمل على تفسير هذه الأفكار و بيان مصداقيتها في الارتقاء من مستويات الكلام إلى أعلى درجات البلاغة حتى ارتبط مفهومه بها و ضبط حده بناءا عليه [4] فجاء تعاريفه على اختلاف أشكالها حاملة لهذه الأفكار و خلاصة هذه التعاريف أن علم المعاني هو العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال [5] .

و هكذا جاءت جل الكتب البلاغية حاملة لواء مبدأ لكل مقام مقال و وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال حيث انبرى أصحابها إلى بناء أرائهم و نظرياتهم من خلالها وقفا لمقدمات هذا المبدأ وانطلاقا من أسسه .

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة لعلم البيان ، تحقيق محمد الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، 2003 ، الصفحة 43 / 50 .

[2] – محمد سالم صالح ، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، 2006 ، الصفحة 07 .

[3] – ينظر : جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال ، دار غريب ، القاهرة ، 2000 ، الصفحة 21 .

[4] – الجاحظ البيان و التبيين ، مصدر سابق ، الصفحة 136 .

[5] – ينظر : ردة الله بردة بن ضيف الله الطلحي ، دلالة السياق ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية ، مكة ، الطبعة الأولى ، 2005 ، الصفحة 87 .

# خاتمة

**خاتمة :**

لم يدرك جون فيرث و هو يصوغ مصطلحات مضامين نظرية السياق ، بأنه قد سبق إلى مثل هذه لمضامين و مصطلحاتها بآلاف السنين ، إذ أن علماء العرب القدامى من أصوليين و بلاغيين و نحاة حين قالوا لكل مقام مقال باعتبارهم أن هذا المبدأ الذي تحمله هذه العبارة يمثل شرطا من شروط آلة البيان و البلاغة و بناء على مجمل ما مر به البحث ، و انطلاقا مما حملته الفصول الثلاثة من هذه المذكرة نستنتج :

- أن منهج الدرس اللغوي القديم ، و الذي لم يبن على أسس علمية في طرح مضامين النظرية السياقية قد كشف عن فضل جون فيرث في إضفاء صفة العلمية على هذه المضامين و ذلك بعد أن صاغ منها نظرية علمية قد تلتقي في بعض جوانبها مع آراء القدماء و لكنها بلا شك ستختلف من حيث المنهج و التحليل و التطبيق .
- إن جل أطروحات النظرية السياقية لها أصول لغوية تعود إلى أعماق الدرس اللغوي العربي القديم على اختلاف توجهاته .
- أن علماء العربية القدامى ، قد أدركوا مفهوم السياق بشقيه السياق اللغوي و سياق الحال فالنحاة البلاغيون عبروا عن مفهوم السياق اللغوي بمصطلح " المقال" و عن مفهوم سياق الحال بمصطلح المقام و عليه فإن الاعتداء بمفاهيم هذه المصطلحات لا يتعدى أن يكون وعيا منهم بالوظيفة التي يؤديها كل مصطلح .
- تناول علماء العربية مضامين النظرية السياقية رغم اختلاف المصطلحات و منهجية الطرح .
- أن تنظير كل من الدرس اللغوي الحديث و الدرس العربي القديم لمفاهيم مشتركة و عليه يثبت هذا التنظير الرأي القائل بتوارث الأفكار بين الأمم خلال حقب زمنية طويلة و إن كانت الكيفيات مختلفة في ذلك .
- إن علماء العربية القدماء اهتموا بالسياق وأولوه أهمية كبرى وبينوا أثره في تحديد الدلالات.
- من أنواع السياق، السياق اللغوي والسياق العاطفي وسياق الموقف والسياق الثقافي.

- إن النظرية السياقية تقوم على المنهج السياقي ويتجلى ذلك بوضوح في اهتمام أصحابها بالسياق الاجتماعي الذي يجري فيه التبادل.
- يظهر اهتمام فيرث بالسياق اللغوي في تحديد نظام اللغة قي وضعه عدة مستويات: المستوى الصوتي، المستوى الصوتي، المستوى النحوي، المستوى المعجمي.
- تأثر بعض العلماء العرب بالنظرية السياقية أمثال: أحمد مختار عمر، محمود السعران، كمال محمد بشر وتطبيقهم لها في دراساتهم.
- أن البلاغيين حين قالوا لكل مقام مقال و لكل كلمة مع صاحبتها مقام وقعوا بذلك على مفهوم المكون الاجتماعي و أن النحاة حين قيدوا شكل التركيب اللغوي بالمقام كانوا أسبق من المحدثين إدراكا لمفهوم العلاقات الموقفية .
- انصب اهتمام البلاغيين بالسياق حول فكرة مقتضى الحال والعلاقة بين المقام والمقال فأما مصطلح مقتضى الحال فقد اهتم به علماء المعاني.
- المقام عند البلاغيين هو كل ما يعين على فهم الحدث اللغوي ويساعد على إبراز المعنى سواء اتصل بالسامع أو المتكلم.
- ارتبطت البلاغة بالتداولية في الاعتماد على اللغة بحيث ساوى العديد من المحدثين بين البلاغة والتداولية حتى قيل أن البلاغة تداولية في صميمها.
- أحدثت النظرية السياقية تغييرا جوهريا في النظر إلى المعنى حيث استعمل السياق قي هذه النظرية بمفهوم واسع يشمل كل المستويات.

و في الاخير لا يمكن إلا أن ندعي أننا بهذا العمل قد أزلنا علامة الاستفهام عن الاشكال المطروح في ما يخص نظرية المقام و أبعادها التداولية عند الجاحظ و نرجوا ان نكون قد وفقنا و لو بالقدر القليل .

# المصادر والمراجع

**المصادر و المراجع :**

**القرآن الكريم**

**المصادر و المراجع باللغة العربية :**


- أحمد الشايب : الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، الطبعة 7 ، 1976 .
- أحمد درويش : النص البلاغي في التراث العربي و الأروبي ، دار الغريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1998 .
- أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، دار العروبة للنشر و التوزيع ، الكويت الطبعة الأولى ، 1998 .
- أحمد مصطفى المراعي : علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1971 .
- ابن جيني : الخصائص ، ترجمة عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول
- ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، دار المعارف للطباعة و النشر ، الطبعة الأولى ،1997 .
- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت الطبعة الثانية ، 1999 .
- الجاحظ أبو عثمان ابن بحر : البيان و التبيين ، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1998 .
- الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ،الطبعة الأولى ، 1969 .
- رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام ، محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1991 .

- الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق عبد القادر حسين ، مكتبة الأداب للنشر ، بيروت ، لبنان .
- التلخيص في علوم البلاغة ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، منشورات دار الطليعة العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ، 1998 .
- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة بيروت ، لبنان الجزء الأول .
- تمام حسان : الأصول دراسة ابستومولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي ، البلاغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى .
- اللغة العربية معناها و مبناها ، دار الثقافة ، المغرب ، الطبعة الثانية ، 1994 .
- قرينة السياق ، عبير الكتاب للطباعة و النشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مصر ، 1993 .
- حلمي خليل : العربية و علم اللغة البنياوي ، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث ، دار المعرفة الجماعية ، الطبعة الأولى ، 1988 .
- سيبويه : الكتاب ، تحقيق محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1988 .
- طاهر حمودة : دراسة المعنى عند الأصوليين ، الدار الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع ، الطبعة الأولى ، 1982 .
- عبد القاهر الجرجاني : نظرية النظم ، دار المعارف للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1978 .

- عبد النعيم خليل : نظرية السياق بين القدماء و المحدثين ، دار الوفاء ، الطبعة الأولى ، 2007 .
- عبد الواحد : حسن التنافر و الطواهر السياقية ، دار الوفاء ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1999 .
- عرفات فيصل المناع : السياق و المعنى ، منشورات الاختلاف للنشر و التوزيع ، لندن ، الطبعة الأولى ، 2013 .
- كمال محمد بشر : دراسات في علم اللغة ، الجزء الأول و الثاني ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، 1971 .
- محمد بن علي الشوكاني : ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1937 .
- محمد علي الخولي : معجم علم اللغة النظري ، مكتبة لبنان الطبعة الأولى ، 1982
- محمد يونس علي : المعنى و ضلال المعنى ، أنظمة الدلالة العربية ، الطبعة الثانية ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، 2007 .
- محمد صغير بناني : النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال بيان و التبيين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1994 .
- محمود السعران : علم اللغة العربية مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية ، لبنان الطبعة الأولى ، 1997 .
- نادية رمضان النجار : الاتجاه التداولي و الوظيفي في الدرس اللغوي ، الطبعة الأولى مؤسسة حورس الدولية ، 2013 .

**المراجع الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية :**


- جورج يول : التداولية ، ترجمة قصي العتابي ، الطبعة الأولى ، دار الأمان ، الرباط ، 2010 .
- جون براون : تحليل الخطاب ، ترجمة و تعليق محمد لطفي ، جامعة الملك سعود ، مملكة العربية السعودية ، د ط ، 1997 .
- ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة كمال محمد بشر ، مكتبة الشباب ، الطبعة الثانية ، 1969 .
- فرانسواز أرمينيكو : مقاربة التداولية ، ترجمة سعيد علوش ، د ط .
- فيليب باتشيه : التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة صابر الحباشة ، الطبعة الأولى دار الحوار ، سوريا اللاذيقية ، 2007 .


**مصادر و مراجع اللغة الأجنبية :**


1- Harmaru , RR , k and stork F.S , dictionary of language and lisuguistique , london , 1973 .

2- Marie aminpp paneau –Geore Elia sarfati(2003) les grandes theories de la ligguistique. De la grammaire comparee a la pragmatique , édétion Armand colin , paries , 2008 -2009 .

3- Michal gregory and susannecarroll , lougouage and sityation langunage varieties and thier social , london , Aenles and Boston .

**المجلات :**


- التداولية و البلاغة : اديس لهويمل ، مجلة المحتر ، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ، العدد السابع ، الصحيفة 158 ، بسكرة ، الجزائر ، 2011 .
- مقبول ادريس : البعد التداولي عند سبويه ، مجلة عالم الفكر ، المجلد 33 العدد الأول ، الصحيفة 245 ، الكويت ، 2001 .


**مقالات في الأنترنت :**


- عادل الثامري ، التداولية و اللسانيات www. Doroob.com .
- جميل حمداوي المعز ، التواصل اللفظي و غير اللفظي

www.Pulpit Alwatane voice .com .


**الأطروحات و الرسائل الجامعية :**


- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي ، دلالة السياق ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة ، المجلد الأول ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1418هـ .
- أحمد واضح ، الخطاب التداولي في البلاغة العربية من القرن الثالث إلى القرن السابع للهجرة ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2012 /2011 .

# فهرس المحتويات

الفهرس :


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الإهداء ..... | 1 |
| تشكر و عرفان ..... | 2 |
| مقدمة ..... | أ–د |
| الفصل التمهيدي : معطى المقام بين آفاق البلاغة في الفكر العربي و واقع الدراسات المعاصرة | 27–8 |
| تعريف السياق ..... | 9 |
| – لغة ..... | 10–9 |
| – اصطلاحا ..... | 11 |
| أنواع السياق ..... | 13–12 |
| 1– السياق اللغوي ..... | 12 |
| 2– السياق العاطفي ..... | 12 |
| 3– السياق الموقف ..... | 13 |
| 4– السياق الثقافي ..... | 13 |
| السياق عند القدماء و المحدثين ..... | 27–14 |
| 1– السياق عند العرب ..... | 21–14 |
| 1–1 السياق عند النحويين ..... | 15–14 |
| 1–2 السياق البلاغيين ..... | 17–16 |
| 1–3 السياق عند المفسرون ..... | 21–18 |
| 2– السياق عند الغرب ..... | 27–21 |
| 2–1 عند دي سوسير ..... | 21 |
| 2–2 عند فيرث ..... | 25–22 |
| 2–3 عند أولمان ..... | 26–25 |
| 2–4 عند جاكسون ..... | 26 |

| | |
|---|---|
| 2-5 عند بلومفيد ..... | 27 |
| 2-6 مينوفسكي ..... | 27 |
| **الفصل الأول : بين التداولية و البلاغة** | **52-29** |
| 1- تعريف البلاغة ..... | 33-29 |
| لغة ..... | 29 |
| اصطلاحا ..... | 31-29 |
| أ- علم المعاني ..... | 31 |
| ب- علم البيان ..... | 32 |
| ج- علم البديع ..... | 33 |
| 2- أطراف التواصل عند البلاغيين ..... | 39-34 |
| 2-1.المتكلم ..... | 36-34 |
| 2-2.السامع ..... | 37-36 |
| 2-3.المقام ..... | 39-37 |
| 3- المقام عند البلاغيين ..... | 44-39 |
| 4- التداولية ..... | 50-45 |
| 4-1.مفهوم التداولية ..... | 46-45 |
| أ- لغة ..... | 45 |
| ب- اصطلاحا ..... | 46-45 |
| 4-2 نشأة التداولية ..... | 48-47 |
| 4-3 خصائص التداولية ..... | 50-49 |
| 5- علاقة التداولية بالبلاغة ..... | 52-50 |
| **الفصل الثاني : امتدادات البلاغة من خلال أفق الجاحظ** | **72-54** |
| 1- نبذة عن شخصية الجاحظ ..... | 55-54 |
| 2- مفهوم البيان و التثبيت عند الجاحظ ..... | 55 |

| | |
|---|---|
| 2–1. مفهوم البيان ..... | 55 |
| 2–2. مفهوم التبيين ..... | 58–56 |
| 3– –المقام عند الجاحظ ..... | 64–58 |
| 4– نظرية الدلالات عند الجاحظ ..... | 64 |
| 4–1. اللفظ ..... | 66–64 |
| 4–2. الخط ..... | 67–66 |
| 4–3. الاشارة ..... | 68–67 |
| 4–4. النصبة ..... | 69–68 |
| 4–5. دلالة العقد ..... | 70–69 |
| 5– المقام في الفكر البلاغي ..... | 72–70 |
| خاتمة ..... | 75–74 |
| المصادر و المراجع ..... | 81–77 |
| الفهرس ..... | 85–83 |